

جناية الأكوع

على ذخائر الهمداني

تأليف: أحمد محمد الشامي

تعقيب: القاضي إسماعيل الأكوع

تقديم المحرر:

كان للقاضي المرحوم محمد بن علي الأكوع (1903- 1998م) جهد معروف وعمل مشهور في تحقيق ذخائر أبي محمد الحسن الهمداني وإخراجها إلى الناس. فاخرج "الصفة"، وما وصل من "الإكليل"، و"الرسالة العاشرة من سرائر الحكمة "، و"شرح قصيدة الدامغة". وقد أثنى الناس على جهده واعترف الباحثون بفضله.

وكان لإخراجه "شرح قصيدة الدامغة" أن تصدى لنقده بله تجريحه شخصيا الشاعر والكاتب المرحوم أحمد محمد الشامي (1924- 2005) الذي ألف كتابا بعنوان: "جناية الأكوع على ذخائر الهمداني". وقد انطوت صفحات الكتاب على انتقاد جارح وإساءات شخصية بعيدة عن المؤلوف في أخلاقية النقد، وخلت من الإضافات المعرفية أو التصويبات المنهجية. ولم يرد القاضي المرحوم محمد الأكوع على هذا النوع من التأليف. ومثل ذلك فعل الشاعر الكبير والمؤلف المرحوم عبد الله البردوني(1928- 1999) والشاعر والمؤلف المرحوم محمد عبده غانم (1912- 1994) فيما نالهما من سهام انتقاد المرحوم الشامي. فقد امتنع الجميع عن الإجابة على الانتقاد لحكمة يدركها ذو العلم.

ومثلهم فعل القاضي المرحوم إسماعيل بن على الأكوع (1918- 2008) إلى حين. لكنه قرر الرد ورأى أن يذهب إلى ما هو أبعد منه، فقدم تأصيلا يفسر

موقف المرحوم الشامي من القاضي الأكوع مستنداً إلى الممارسات التاريخية المعتمدة على الصراع "العرقي".

والحق أن كتاب المرحوم الشامي وتعقيب المرحوم الأكوع ليسا على اتصال مباشر بالهمداني، بيد أن اسم الهمداني وفكره في ارتباط بفحوى الجدل المثار بين المؤلفيْن. والنشر هنا –لأول مرة– لتعقيب الأكوع ينطوي على أكثر من قيمة: فله قيمة توثيقية أولاً من حيث ضمان استكمال نشر مصنفات الأكوع؛ وقيمة تاريخية ثانياً من حيث إضاءة ما اعتمت رؤيته في الجدل حول الموقف من تاريخ اليمن ورأي المؤرخين الكبار مثل القاضي الاكوع؛ وقيمة أخلاقية في إغلاق باب الجدل بعد ما فُهمت علميا أبعاده الذاتية والموضوعية. وعلى كل حال فهؤلاء الأعلام جميعهم قد رحلوا رحمهم الله وغفر لهم وأسكنهم فسيح جناته أنه سميع مجيب.

المحرر

نص التعقيب

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: 13].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: 70، 71].

﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: 63].

أما بعد.. فهذا تعقيب أعددته منذ أكثر من عشر سنوات خلت على إثر صدور كتاب (جناية الأكوع على ذخائر الهمداني) للشاعر أحمد بن محمد الشامي الصادر سنة 1400هـ 1980م كما أوضحت ذلك في صدر التعقيب على ما ورد في هذا الكتاب من بُعد صاحبه عن طريق الصواب والإنصاف، وذلك فيما ذهب إليه من التجني على القاضي محمد بن علي الأكوع خرج به عن حدود النقد الموضوعي إلى التجريح الشخصي. وكنت على وشك إرساله للطبع إلاّ أن القاضي عبدالرحمن بن يحيى الإرياني نصحني – بعد أن اطلع عليه – بعدم لزوم نشره، وأن الشامي قد نثر ما في كنانته، وأفرغ ما في جعبته في ذلك الكتاب

فنزلت عند رأيه، بل وأغفلت ذكر هذا التعقيب من مسرد مؤلفاتي، وذلك لمن يطلب مني معرفتها.

ولكنه تبين لي فيما بعد أن ما يوجد في صدر الشامي من غيظٍ لا يزال كما هو يتأجج أواره على القاضي الأكوع لم يمحه كَرُّ الغداة ومَرُّ العشي، مما يصدق عليه قول الشاعر:

وقد ينبتُ المرعى على دِمِن الثَّرى   وتبقى حزازات النفوس كما هيا

بل إن التجريح قد عشعش وأفرخ، فبعد أن أصدر كتابه المذكور عاد فتناول القاضي الأكوع في كتابه (ألف باء اللُّزوميات) ص80 بقوله: وإلى القاضي محمد الأكوع:

تُهاجمنا بكلّ بذيّ قولٍ؟   وأنتَ لكَ المحاسنُ، والعيوبُ!
وتنهشُ ذكر من طابوا فِعالاً   ومن تزكو بذكرهمو الطّيوبُ
(بني الزهراء) والأطهارُ منهم   بهم تصفو من الكفر الجيوبُ
تمهَّل - ياظلوم- وصُنْ شِعاراً   بأن نرعاه أوصتنا الغُيُوب

ثم واصل حملته المسعورة بأسلوب تميز بالهزوء والسخرية في كتابه (محاكمة في جنة الشعراء) ص 33 وذلك في قوله:

المكبّل (المقيد بالحديد) (رقم2) الأكوع، لا يا مولانا (يقصد به الإمام أحمد حميد الدين) أسألكم بالله لا تُحيلوني على الشامي فبيني وبينه سوءُ تفاهم، وتعرفون ما تفوَّه به على جدّي أسعد اليُعفِري في كتابه (قصة الأدب)، ولكن أحيلوني إلى عبدالرحمن الإرياني أو محمد علي عثمان أو من ترون؟.

الإمام: تقول: جدك أسعد اليُعفري، تعني السلطان الحوَّل القُلَّب الغشوم الذي سَمَّم عليَّ بن الفضل، وهو يظهر له الولاء، وذبح أولادَه، وسبى نساءَه وبناته مع أن المتوكل على الله إسماعيل قد قال: إن جدَّكم هو الصحابي الجليل سلمة بن الأكوع.

المكبل رقم (2): لقد وهم الإمامُ المتوكل فإن النسابين قد رفعوا نسبنا إلى التُبَّع القَيْل ذي حِوال الحميري، وقد قال الرسولُ عليه وآله أفضل الصلاة والسلام: ((لعن الله من انتسب إلى غير أبيه))[1].

(1) لفظ الحديث: لعن الله من ادعى إلى غير أبيه.

الإمام أحمد: أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير.. يا أكوع، وكيف جزمتَ بصحة ما قاله النسَّابون، وهم أحياناً يكذبون، ألا تخشى لعنة الله.

العنسي (ضاحكاً): عاد به (هناك) أيضاً من بيت الأكوع عَبَارِية! واسألوا القاضي فضل الأكوع.

المكبل رقم (2): أنسبونا إلى من تريدون، المهم أن لا تحيلونا إلى الشامي.

ثم بعد هذه الحملة الشرسة التي لم تقتصر على القاضي محمد الأكوع صاحب الشأن فحسب، بل شملت كذلك آل الأكوع كلهم، تنشرُ جريدة (الشورى) التي تصدر في صنعاء في عددها رقم 28 بتاريخ 21 جمادى الأولى سنة 1412هـ الموافق 28 تشرين الثاني (نوفمبر) سنة 1991م قصيدة[2] بعنوان: أين صنعاء؟ لقاسم بن علي الوزير، وعليها تخميسٌ لأحمد بن محمد الشامي تعرَّض فيها للأمراء آل يُعفر حكام اليمن (225- 393) بالذم والقدح وذلك ليغيظ القاضي الأكوع، الذي لم يسلَم فيها من الغمز واللّمز، لأن الشامي يعتقد أن آل الأكوع ينتسبون إلى آل يُعفر مع أنهم لا ينتسبون إليهم، كما بينا ذلك في موضعه من هذا التعقيب، ولكنه يشيد بهم – على الرغم من مساوئ بعضهم – لكنه يكفيهم فخراً أنهم تركوا من الآثار الإسلامية على قصر مدة حكمهم ما يشهد لهم بخلود الذكر، وعظمة المجد مثل (الجامع الكبير) في صنعاء، و(الجامع الكبير) في شبام، وهو ما لم يفعل مثله غيرُهم مِمَّن حكم اليمن أطولَ مدة في التاريخ كالأئمة، والأخ الشامي يعرف ذلك؛ ولكنه يريد أن يحطّ من قدرهم مستغلا علاقة آل الأكوع بهم حيث يجتمعون نسباً، في ذي حوال.

وبيت القصيد أن الأمراء آل يُعفر ظلوا معارضين لحكم الأئمة في اليمن، ولم ينضووا هم ومن يحكمونهم في معظم أنحاء اليمن تحت نفوذ الإمام الهادي يحيى بن الحسين وأولاده الذين ظل حكمهم محصوراً في صعدة ومخاليفها، ولهذا فإن الشامي لم يجد وسيلة للانتقام من آل يُعفر لمعارضتهم لامتداد نفوذ حكم الهادي إلى صنعاء وغيرها إلاّ عن طريق القاضي الأكوع، وذلك كما ورد في هذه القصيدة:

«أما الطُغاةُ فتاريخٌ تردده شوامخٌ من روابيها وأغوارُ»
ما بين فدمٍ وجبار الهوى شرس يستعذبون عذاب الناقد النُّطُس
عاشوا ولكن حياة البغي والدنس

---

(2) ظهر ديوان الأستاذ الشامي في ثلاث مجلدات، وقد طبع على نفقة التاجر السعودي الكبير عبدالمقصود خوجة، وقد أورد هذه القصيدة في الجزء الثالث بعنوان: (أين صنعاء؟) في صفحة 1421.

«مـرُّوا عليهـا فجـرحٌ غَيْـرمنطمس على الجبين، وفي العينينأكدار» صكٌّ
توهمـوا أنهـمُ عـن جَـدِّهم ورثـوا الخلـود فـلا مـوتٌ ولا جـدث
ولا حصادٌ لما في أرضهم حرثوا

«ظنوا العرين لهم مرعى وما لبثوا إلاّ قليلاً ومـات الخـزيُ والعـار»
ظلـوا أسـارى هـوى الأثـام تجمعهـم عـرى الغبـاء ولـؤم الطبـع يـصدعُهم
وربما عربدت خبثاً مطامعهم

«حينـاً يـسومونها خـسفاً فتوسُـعُهم عقوبـة يبلـغ الرضـوى بهـا الثـأر»
هـم اليعـافر ضـلوا في ضـلالتهم واسـتعرمت للهـدى طبعـاً عـدواتهم
فهم بأوزارهم صرعى شقاوتهم

«وهـم علـى الغـي مـا ترجّـى إفـاقتهم كـأن بعـضهم للـبعض تكـرار»

الخ..

كما خصَّه بأرجوزة في 39 بيتاً عنوانها (كتب التراث وترهات الأكوع) أفرز فيها ما يبطن للأكوع من كرهٍ وحقد، وقد نشرها في الجزء الثالث من ديوانه ص 1334.

هذا ما علمت بما تناوله (السيد) الشامي حول (الأكوع) وربما أنه تناوله في مواضع أخرى، فهل عليَّ بعد هذا التجريح كله لومٌ أو عتابٌ إذا نشرت (تعقيبي) وكشفت الحقائق الخفية وأبرزتها واضحة جلية، وهي ولا شك ستكون مؤلمة، ولكن ما حيلتي، وقد دُفعت إلى الردّ دفعاً بعد أن اعتصمت بالصبر زمناً طويلاً حتى لم يبق للصبر متسع، فلا يلمني إذاً أحدٌ من الأحباب والأصدقاء من الذين أكنُّ للفضلاء الأتقياء منهم كلَّ تقدير، واحتفظُ لهم بكل جميل بعد اليوم بنشري هذا التعقيب، وإذا كان هناك من يستحق اللّوم فهو الشامي، وذلك لاستمراره في الترسل والتجريح، ولا يجد فيهم من يقول له كفى كفى!!.

عـلام تلومـون الجـريحَ علـى البكـا أمـا كـان أحـرى أن تلومـوا يـد الجـاني

مع أنه كان من واجب هؤلاء أن ينصحوا صاحبهم الشامي بمنعه من الاسترسال المستمر في التهجم على القاضي الأكوع بدلاً من التصفيق والتطبيل له، وكان عليه أن يعمل بالأثر المشهور: «أحبب حبيبك هوناً ما عسى أن يكون بغيضك يوماً ما، وأبغض عدوك هوناً ما عسى أن يكون صديقك يوماً ما».

ومثله ما يزعم أنه لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وذلك في قوله:

وكن معدِناً للخيْر، وآصفح عن الأذى ... فإنك راءٍ ما عملت وسامع
وأحبب إذا أحببت حباً مقارباً ... فإنك لا تدري متى أنت نازع
وأبغض إذا أبغضت بغضاً مقارباً ... فإنك لا تدري متى الحب راجع

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾[آل عمران:8].

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: 10].

صنعاء في 27 جمادى الآخرة سنة 1412هـ الموافق 1992/1/2م

إسماعيل بن علي الأكوع

بسم الله الرحمن الرحيم

ما كاد يظهر كتاب شرح الدامغة للحسن بن أحمد الهمداني بتعليق وتقديم المؤرخ القاضي محمد بن علي الأكوع حتى تصدى له الأديب الشاعر أحمد بن محمد الشامي بالنقد، فكتب في صحيفة (الثورة) اليمنية مقالات[3] بعنوان (جناية الأكوع على ذخائر الهمداني) تناول فيها ما وقع في الكتاب من أخطاء لغوية وإملائية وتصحيفية.

وبعد عام أو ما يقرب منه أصدر تلك المقالات في كتاب مُصور عن خط يده بعد أن أضاف إليها تعليقه على ما ورد في مقدمة المحقق، ورسم في صفحة العنوان صورة لفمٍ فاغرٍ تحيط به حروف كلمتي (متعصب عنصري)، وبجوار الصورة مخططٌ لشجرة سماها (شجرة الحرية) لها أربعة فروع، كتب على الفرع الأول منها (عدالة) والثاني (حوار) والثالث (إيمان) والرابع (مساواة)، ثم كتب بجوارها هذا الإهداء:

«أهدي الكتاب إلى الصديق الماجد بن الماجد القاضي فضل بن علي الأكوع حفظه الله، وإلى صديقي العلامة إسماعيل الأكوع حرسه الله، مع تقديري

(3) صدر المقال الأول يوم الخميس 30 ربيع الأول سنة 1398هـ الموافق 1978/3/9م. ولم يكتف الأخ الشامي بنشره في الصحيفة المذكورة، وإنما أعاد نشره في مجلة (الفيصل) العدد28 شوال سنة1399هـ (سبتمبر 1979م)، كما أنه أرسل تلك المقالات الثلاث إلى بعض أصدقائه، ومنهم الأديب الشاعر الكويتي الأستاذ/ عبدالرزاق البصير وغيره ليعلمهم كيف أخذ بحقه.

واعتذاري إذا كنت قد أغرقت في الإيضاح، أو قلت ما لا يليق، وما أظن أني فعلت، راجياً أن يطالعا من جديد ما قاله القاضي محمد الأكوع سامحه الله عن بعض المواطنين من العلماء والشعراء في مقدمته الشوهاء».

وهذا تبيين لكل عائلة الأكوع الكريمة سواءً كانت حِوالية أو يُحصبية أو عدنانية أو هَمدانية (وإنما المؤمنون أخوة).

وقد قال شوقي يخاطب سيد البشر صلى الله عليه وآله وسلم:

فرسمـتَ بعـدك للعبـاد حكومـة (لا) سـادة فيهـا ولا (أمـراء)

الله فـوق الخلـق فيهـا وحـده والنـاس تحـت لوائهـا أكفـاء

وختم الإهداء بقوله: ((وهو ما نعتقده جميعاً))!!؟.

ولقد تمنيت بعد أن قرأت الكتاب لو أن الشامي اقتصر على النقد الموضوعي فقط، إذا كانت دوافعه للنقد هي الحرص على ذخائر الهمداني، كما يوهم عنوان كتابه، ناسياً أو متناسياً ما ناله مِن تعريض في مقدمة المحقق امتثالاً لقول الله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾[4] حتى يكون لنقده فائدتَه العلمَية، وثمرتَه المرجَوة، فالنقد المجرد من هوى النَفس فنٌ من فنون الأدب، وبابٌ من أسمى أبوابه، لا يحذقه إلاّ من أوتي حظاً كبيراً من قوة الحُجّة، ونصيباً عظيماً من نصاعة البيان، ولكنه للأسف الشديد وقع فيما أنكره على القاضي الأكوع بل تجاوز ذلك بكثير حتى صدق عليه المثل العربي المشهور «رمتني بدائها وانسلت».

وقد فكرت أن أكتب إليه لأنبهه إلى بعض ما وقع في نقده أو بالأصح في ردّه من تَحَيُّز وتنكب في قضايا تاريخية معروفة، وحوادث سياسية واجتماعية، ووقائع خطيرة، وتحريف لوقائع كان عليه أن يقول فيها الحقيقة، ثم صرفت النظر عن ذلك لاعتقادي أن أمر هذا الخلاف بينه وبين القاضي الأكوع وإن استطال أمره، واستطار شرُّه، سينتهي حتماً إلى النسيان، (ويبقى الود ما بقي العتاب). ولكنه وبعد مضي عام وبضعة أشهر طُبع هذا الكتاب في بيروت ليُنشر على نطاقٍ واسع، فحصلت على نسخٍ منه وقرأته لأرى ما فيها من اعتدال في الأسلوب، وإنصاف في الموضوع عن الأصل المنشور بخط يده، اعتقاداً أن المدة التي تفصل بين ما نشر من نقده في (الثورة)، وبين صدور الكتاب مطبوعاً كافية لكبح جماح الغضب، وزوال

(4) سورة فصلت: 34.

سَورة الألم، وبخاصة وقد ذكر في الكتاب نفسه أنه تأثر كما يقول ((ببعض الرسائل الواردة إليه من الأخ العلامة القاضي عبدالرحمن الإرياني، والأخ الأديب الشاعر أحمد المعلمي والأخ العلامة إبراهيم بن علي الوزير والقاضي حسين بن عبدالله العمري))، ثم قال: ((وقد ذكرني الأخ القاضي عبدالرحمن الإرياني بالحديث[5] الشريف (من اتقى الله لم يشف غيظه) وأنه قد عاتب القاضي الأكوع على ما صدر منه وأنه نفسه ندم))[6].

ثم قال الشامي: ((ودار بيني وبينه نقاش أدبي حول الموضوع، وعليه فقد أخرت إرسال بقية المقالات إلى جريدة (الثورة) بل ومزقت كلما كان القلم قد نفث به غيظاً وحَنَقاً، وعدَّلت بعض العبارات والألفاظ التي – على كل حال – كانت ألطف وأرق من عبارات وألفاظ الأخ القاضي الفاضل التي تفيض كلها شتماً وقذفاً وتحاملاً على الكثير من علماء وشعراء اليمن، وعلى من ينتسبون إلى الإمام علي كرم الله وجهه))[7].

ولما قرأت الكتاب المطبوع لم أجد فرقاً بَيِّناً بين ما نُشر عن خطه، وبين ما نُشر مطبوعاً. كما لم أر أثراً جلياً لنصح الناصحين في أسلوبه ومنهجه، فالكتاب هو الكتاب ينضح من أوله إلى آخره بالتهكم والسخرية والتحامل، اللهم إلاّ بعض التغيير اللفظي كحذف صفة وإثبات أخرى أو نحو ذلك.

ويكفي للتأكد مما ذكرت قراءة مقدمة نقده في الفصل الأول الذي نُشر في (الثورة) ومجلة (الفيصل) وهي:

((وأما الهمداني فهو العلم الشامخ صاحب الإكليل وصفة جزيرة العرب والدامغة وعشرات[8] الكتب، وهو بحق لسان اليمن، وأما الأكوع فهو القاضي محمد بن علي بن حسين الأكوع، أظنه ذماري[9] الأصل، وأخوه القاضي الأديب

(5) هو أثرٌ لعمر بن الخطاب وليس حديثاً.

(6) لم يحدث شيء من ذلك على الإطلاق لا عتاباً ولا ندماً، كما أكد لي ذلك القاضي عبدالرحمن الإرياني نفسه.

(7) ص 119.

(8) مؤلفاته لا تتجاوز ثلاثة وعشرين مؤلفاً بما فيها الإكليل وصفة جزيرة العرب والدامغة.

(9) الهدف معروف من ذكر أنه (ذماري الأصل) فهو يغمز إلى أن أهلها يتصفون بالخشونة، وقسوة الطباع. ونسي أن أبرز صفاتهم الحميدة الشهامة والغيرة والحَمية، وأنه لا يضام لهم جار، ولو لم يكن من شهامتهم إلاّ أنهم أنقذوا زيد بن علي زبارة – وهو عديله حسب التعبير المصري – من عقوبة الإمام يحيى حميد الدين الذي حينما أمر بسجنه والتشهير به بعد أن بلغه أنه استهلك بعض أموال بيت المال التي كان أميناً عليها، ولم يشفع له وجود أخيه عند

المهذب إسماعيل الأكوع. وقد أخرج محمد الأكوع هذا كتاب قصيدة الدامغة للهمداني في إحدى مطابع القاهرة. وحسب كلامه في نهاية مقدمته أنه فرغ من تهذيبها في 20 مارس 1977م ربيع الأول سنة 1397هـ)).

ثم مقارنتها بما نشر في الكتاب المطبوع (أما الهمداني فهو العلم الشامخ صاحب الإكليل وصفة جزيرة العرب وعشرات الكتب وهو بحق لسان اليمن، وأما الأكوع فهو القاضي العلامة الأستاذ الفاضل محمد بن علي الأكوع الذي حقق بعض أجزاء الإكليل، وساهم في تأليف كتاب (ابن الأمير وعصره) والمشار إليه في كتابي (قصة الأدب في اليمن) ص35 وأخوه هو القاضي الأديب المهذب إسماعيل الأكوع جامع الأمثال اليمنية (الأمثال اليمانية).

وقد أخرج القاضي محمد الأكوع كتاب قصيدة الدامغة وشرحها للهمداني، وحسب كلامه في نهاية مقدمته للكتاب أنه فرغ من التحقيق والتهذيب في 20 مارس 1977م ربيع الأول 1397هـ))[10].

هذا مثال للفرق بين ما كتبه في فورة غضبه وبين ما كتبه وقد هدأت نفسه من الألم بعد أن أشار عليه من أشار بالأثر (من اتقى الله لم يشف غيظه) فحينئذ عزمتُ على كتابة تعليق وجيز لإيضاح بعض الجوانب التي تجاهلها الشامي، وإبراز ما هو في حاجة إلى تحديد الغرض المقصود منه لا دفاعاً عن أخي – كما يعلم الله – أو تعصباً لرأيه، أو احتمالاً أو تأويلاً لما وقع من أخطاء فيما كتب فلا قُربُه مني نسباً يجعلني أقف معه على باطل، ولا بُعد الشامي عني نسباً يجعلني أقف ضده على غير حق، وإنما أكتب للبحث عن الحقيقة بغية الوصول إليها، فأبرز صفات المؤرخ التي يجب أن يتحلى بها أن يكون أميناً فيما يروي، صادقاً فيما يكتب، عادلاً في أحكامه ولو على نفسه، وإلاّ فهو متحيزٌ إلى فئة.

الإمام يحيى أميناً لمخازنه، ولا مصاهرته للإمام، إذ أن زوجه هي بنت ابنة الإمام، فهَبَّ أهل ذمار ونواحيها تطوعاً من ذات أنفسهم فدفعوا ما استهلكه وأقالوا عثرته؟، وإذا كان الانتساب إلى ذمار يُعاب عليه فسيشمل هذا الحكم القاضي عبدالله بن محمد العيزري، والسيد زيد الديلمي، والقاضي عبدالوهاب الشماحي، والسيد أحمد بن عبدالوهاب الوريث، والسيد زيد بن علي الموشكي، والقاضي أحمد بن أحمد الحضراني وابنه الأديب الشاعر إبراهيم، وهؤلاء كلهم يعرفهم الأخ الشامي حق المعرفة ويعرف مكانتهم العلمية والاجتماعية والأدبية.

(10) النص في مقدمة شرح الدامغة هكذا: ((تم تحقيق المقدمة وتهذيبها بالقاهرة المعزية 3 ربيع أول سنة 1397هـ، 20 مارس 1977م)).

وقد تطرق الشامي نفسُه إلى هذا المعنى فقال في كتابه (قصة الأدب في اليمن) ص35:

«فكثيرٌ من المؤرخين قد أعماهم التعصب أو التحيز لفئةٍ مّا أو مذهبٍ مّا، ولجوا فيه وأغرقوا، ولذلك فعلى من يريد أن يدرس تاريخ اليمن، وآداب اليمن أن لا يقتصر على كتب فئة من الفئات أو مؤرخي دولةٍ من الدول، بل عليه أن يتحرى، ويتتبع آثار كل فئةٍ من كتب مؤرخيها وآدابها، وإنه لمن دواعي الأسف الشديد أن نذكر أن أغلبية مؤرخينا قدامى ومحدثين هم من المتعصبين والمتحيزين، ومعظمهم تأثروا بما يحيط بهم، وتضج به مجتمعاتهم من تعصبات مذهبية، أو دعوات سلالية، وقَلَّ أن تجد منٍ يستطيع أن يتحرر من قيود بيئته، أو ينصف غيرَ أبناء طائفته»، ثم ذكر مثلاً على ذلك القاضي محمد الأكوع فوصفه بأنه مهرج[11].

وسيرى القارئ معي إلى أي مدى التزم الشامي في كتابه (جناية الأكوع على ذخائر الهمداني) بهذا المعيار الصحيح للمؤرخ المنصف.

فهو قد جعل عنوان كتابه (جناية الأكوع على ذخائر الهمداني) ولكنه لم يأت فيه بما يُظهر صدق دعواه، فالمطلع عليه لا يجد فيه ذكر جناية واحدة، وإذا اعتبر ما وقع في تحقيق وتعليق القاضي محمد الأكوع من أخطاءٍ لغوية على مؤلفات الهمداني التي قام مشكوراً بإخراجها من زاوية الإهمال والنسيان، وحققها وعلّق عليها وأخرجها للناس، فهذا هو ما بلغ إليه اجتهاده، وحسبه الحديث (من اجتهد فأخطأ فله أجر)، ولم يسلم من مثل هذا الخطأ أحدٌ من المحققين والمعلقين على كثرتهم.

وإذاً فليس في الأمر ما يوجب هذه الحملة المسعورة على القاضي الأكوع سوى أنه نشر كتب الهمداني، وهو غير مرضيٍ عنه عند طبقة من الناس كما أفصح عن ذلك الإمام شرف الدين في شرح مقدمة كتابه (الأثمار)، ذلك لأنه أشاد بتاريخ اليمن، وأبرز محاسنه، وكشف ما لحكامه – قبل الإسلام وبعده – من مآثر عظيمة خالدة. وسار القاضي الأكوع على دربه ناشراً مؤلفاته فزاد في الإيضاح بعد أن أطلقت الثورة لقلمه ولسانه عنان القول بما كان محرماً في عهود الحكم الإمامي من الإبانة عمّا فيها من الظلم والاستعلاء على الناس بغير حق.

---

(11) كان هذا بداية الخلاف؛ فلما حانت الفرصة للقاضي محمد الأكوع تعرض له في مقدمته على كتاب شرح الدامغة بما أغضبه، فكان رده عليه بكتاب (جناية الأكوع على ذخائر الهمداني) والبادئ أظلم كما يقول المثل.

كذلك فقد دعا أحمد الشامي في مواضع كثيرة من كِتابِه إلى الأخوة الإسلامية، وحث على التمسك بها واستشهد بالآية الكريمة ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات:10] في أكثر من موضع، كما استشهد بها في الإهداء وأردفها بقول شوقي:

فرسمت بعدك للعباد حكومة	لا (سادة) فيها ولا (أمراء)
الله فوق الخلق فيها وحده	والناس تحت لوائها أكفاء

ثم عقّب على ذلك بقوله: (وهو ما نعتقده جميعاً).

كما انتقد التعصب القائم على العنصرية أو الجنس فقال في ص38:

«مع أن التعصب الذميم، والذي حاربه الإسلام إنما يكون إذا تعصب المرء في باطلٍ لذات نفسه أو أهله أو عشيرته ضد الحق والعدل والأخوة الإنسانية والدينية القائمة على التراحم والتعاطف والتناصح والمساواة، أما أن يَغار الوطني على وطنه، وبني جلدته، وإخوانه في الدين ضد المعتدي فإن ذلك من واجباته، وكذلك حين يتمسك المسلم بأوامر القرآن، وتعاليم الشريعة، ويدعو إلى الهدى والحق والخيرِ والعزة جميع أبناء وطنه متحمساً دؤوباً فذلك ينسجم مع قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [المائدة:2] ولا يعد تعصباً ذميماً».

هذا هو كلامه؛ وهو ولا شك ما ينشده كلُّ مسلم صادق الإيمان، ولكن كيف نوفق بين ما دعا إليه اليوم، وبين سلوكه في الماضي؟ فلقد كان بالأمس حريصاً على التمسك بكلمة (السيد) ويلصقها باسمه دائماً، وظهر هذا بصورة واضحة منذ أن جاء إلى القاهرة في أعقاب فشل حركة المقدم أحمد بن يحيى الثلايي ضد الإمام أحمد حميد الدين سنة 1374هـ (1955م)، ولما كانت تربطني به صداقة قديمة ثم زمالة السجن كنتُ أزوره ما بين حين وآخر، وصادف وأنا في منزله في حيّ العجوزة أن رأى أحد الحاضرين على مكتبه مجموعة من البطاقات الشخصية تحمل اسمه (السيد أحمد بن محمد الشامي)، فقال له الأخ محمد بن عبدالوهاب جُباري: لو أزلت كلمة (السيد)، واكتفيت بالاسم وحده لكان أولى وأنسب، لأن الناس في خارج اليمن لا يضيفون مثل هذه الألقاب إلى أسمائهم في البطاقات باستثناء الدرجات العلمية، فأخذ السيد الشامي يدافع عن جمال اقتران هذا اللقب بالاسم، ويُعدِّد محاسن استعماله، وقال: «أبسروا ما أحلاه على اللسان» وبعد فترة غير طويلة طبع أول ديوان له بعنوان (النَفَس الأول) وعلى صدر الغلاف اسم صاحب الديوان (السيد أحمد الشامي) الذي يكثر اليوم من الاستشهاد ببيت

شوقي: (لا سادة فيها ولا أمراءُ) مع أنه - وهو سجين في قاهرة حجة- قد أنشأ قصيدة بمناسبة خلع الملك فاروق عن عرش مصر سنة 1952م مطلعها:

أي صوتٍ دوى فهزّ الوجودا ... وأنابت له العقول سجوداً

ومنها:

والسلالات قد هوت بالمساوا ... ة وأمسى الورى عليها شهودا
إنها حكمة الشريعة تأبى ... أن ترى الناس سيداً ومسودا

فبأي النقيضين نأخذ؟ هل بدعوته اليوم إلى الأخوة الإسلامية:

والدعاوى ما لم تقيموا عليها ... بينات أبناؤها أدعياء

أم بالسلوك والممارسة، وإذاً فما قيمة الاستشهاد بشعر شوقي؟، إلاّ إذا كان قد توصل في نهاية المطاف إلى هذه النتيجة، ولكن كان عليه أن يدعو بني طائفته، وصوته مسموع فيهم، إلى الإخاء والمحبة ونبذ التمسك بالتفاضل بالأحساب والأنساب لأن هذا تعطيل للمعنى السامي العظيم في قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[الحجرات:10] وقوله: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات:13] فقال: أتقاكم، ولم يقل: إن أكرمكم عند الله آل فلان وآل فلان وبنو علان، ومناقض لما يُزعَمُ أنه لأمير المؤمنين علي رضي الله عنه، كما أورده نشوان بن سعيد الحميري في كتابه شمس العلوم:

الناس من جهة التمثيل أكفاءُ ... أبوهم آدمٌ، والأم حواء
فإن يكن لهم من أصلهم شرفٌ ... يفاخرون به فالطين والماء
ما الفضل إلاّ لأهل العلم إنهم ... على الهُدى لمن استهدى أدلاء
وقدر كل آمرئٍ ما كان يُحسنه ... والجاهلون لأهل العلم أعداء[12]

ومخالفٌ لما جاء به الإمام الهادي يحيى بن الحسين كما روى صاحب سيرته: «أن رجلاً قال له: جُعلت فداءً للسيد، فقال له الهادي: لا تعد تقول هذا مرة أخرى، فإنما السيد الله، وإنما أنا عبدٌ ذليل، فقال له رجل ممن حضر المجلس:

(12) شمس العلوم 478/1، ولعلها لمؤيد الدين الاصفهاني المعروف بالطغرائي، وتتمتها:

وإن أتيت بجودٍ في ذوي نسب ... فإن نسبتنا جود وعلياء
ففز بعلمٍ تعش حياً به أبداً ... الناس موتى وأهل العلم أحياء

جعلت فداك، قال الله: وسيداً وحصوراً، فقال: نعم، ولكن لا أحب أن يُقال لي: هكذا))[13].

أما كان أجدر بأبناء هذا الإمام العالم أن يترسموا خطاه في سلوكه وتواضعه ويرفضوا استعمال كلمة (السيد) التي تؤكد التمييز العنصري، ويمنعوا الناس من إطلاقها عليهم، كما ترسموا آراءه وأحكامه فعملوا بها هم وأشياعه. إن الوقت لا يزال أداءً ليقوم الشامي بدورٍ بارز في محاربة العنصرية والعنعنات الأسرية – على حد تعبيره – حتى تزول الضغائن والأحقاد و(السُمِيَّات)[14] وتحل محلها الألفة، والمحبة القائمة على الأخوة الإسلامية الصادقة فيعيش أبناء اليمن كلهم في سعادة وهناء، وينسون الصور القاتمة التي كانت شريعة العهد السابق تمارسها من استعباد الناس، وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً، ولا أعتقد أن الشامي قد نسي جواب الإمام المنصور محمد بن يحيى حميد الدين المتوفى سنة 1322هـ (1904م) على سؤال وجهه إليه القاضي العلامة علي بن عبدالله الإرياني أحد حكام الشرع - كما أخبرني حفيده القاضي علي بن يحيى الإرياني - يطلب منه فتواه في قضية رجلٍ عربي تزوج هاشمية، فأجاب الإمام عليه في أعلا سؤاله بخطه: (زانٍ يُحَدّ).

ولا شك أن الشامي يعلم بما حدث من ضجة كبرى حينما تزوج القاضي أحمد السياغي نائب لواء إب السابق بابنة السيد محمد شرف الدين صاحب المخادر، فقد ثارت ثائرة كثيرٍ من الهاشميين بما فيهم الإمام أحمد الذي لم يكن راضياً عن هذا الزواج قائلاً: لا بد من الكفاءة في النسب احتجاجاً على هذا الزواج، ووصلت القضية إلى الهيئة الشرعية بتعز، فوقف رئيسها العلامة أحمد بن محمد زبارة موقفاً مؤيداً للزواج، ومعارضاً لهذا الاحتجاج، لكن محمد بن أحمد الكبسي – وهو من أعضاء الهيئة الشرعية – اعترض، وقال، كما أخبرني القاضي عبدالرحمن الإرياني: إن المشكلة أن سالم عَيبْدِي[15]، أي أن اليهودي سيظهر، ويشير بذلك إلى أن اليمانين كانوا يدينون قبل ظهور الإسلام بالديانة اليهودية، فأجاب عليه القاضي عبدالرحمن بقوله: "إن اليهود هم أصحاب ديانة سماوية، ولكن المشكلة أنه عيبدي (سيظهر) هُبل واللات والعُزَّى، إشارة إلى أن قريشاً كانت قبل الفتح وثنية تعبد الأصنام، فضحك الحاضرون، فقال الكبسي

---

(13) ص 53.

(14) السُّمِيات: كلمة شائعة في صنعاء تستعمل لمن يُرى على وجهه علامات السُخط والحقد واللُّؤم على غيره من غير سبب.

(15) سالم: اسمٌ كان شائع الاستعمال عند يهود اليمن.

للقاضي عبدالرحمن: لا تغضبوا يا قاضي عبدالرحمن، فأجاب عليه: يجب أن يكون عندكم ذوق".

ويظهر أن هذا الاعتقاد ليس محصوراً على محمد بن أحمد الكبسي وحده، فهذا يحيى بن محمد عباس رئيس الاستئناف في عهد الإمام أحمد حميد الدين يقول للنقيب محمد بن عبدالله الصوفي كبير رؤساء قبيلة خولان الطيال (خولان العالية) حينما زار رئيس الاستئناف إلى بيته: أتعرف يا نقيب محمد أن جدود أهل اليمن كانوا يهوداً، وكان عبدالسلام صبره ومحمد أحمد المطاع لدى رئيس الاستئناف، فلما سمع عبدالسلام صبره ما قاله رئيس الاستئناف سأله متى كان هذا؟ فأجاب عليه: كان ذلك قبل الإسلام فقال له: لقد كان العرب كلهم إمَّا يهوداً وإما نصارى وإما وثنيين.

كما أنني متأكد أن الشامي يعلم ما حدث لأعضاء الاستئناف حينما رفعوا إلى الإمام يحيى حميد الدين قرار الاستئناف كعادتهم بصحة حكم عُرض عليهم فأقروا صحته، وكانت ديباجة قرار الاستئناف مصدرةً بهذا النص:

((كانت المطالعة لما حرره الصنو العلامة قاسم بن إبراهيم... الخ)).

ووقّع على هذا القرار القاضي يحيى بن محمد الإرياني رئيس محكمة الاستئناف، والقاضي علي بن عبدالله الآنسي، والقاضي حسن بن علي المغربي، والسيد ناصر الدُرَّة، والسيد زيد الحوثي، وغيرهم من أعضاء الاستئناف، ولما كان الحاكم من الهاشميين فقد أفزع الإمام يحيى أن يسميه رئيس الاستئناف وأعضاؤه صنوا (أخا) ويرتقوا إلى مستواه، وهم من غير الهاشميين، ولم يشفع لهم عند الإمام وجود السيد زيد الحوثي والسيد ناصر الدرة بينهم، الأمر الذي ظنه كاتب القرار مسوغاً لاستعمال كلمة (الصنو) فكتب الإمام أعلا القرار "صُنْو مَن؟ يا أهل الاستئناف، يا سُبَل"[16]، أي: "أخ من يا أهل الاستئناف؟ يا حمير". ونسي الإمام موضوع الحكم وقرار الاستئناف.

وما أخال أحمد الشامي يجهل ما حدث لرجل مسلم فاضل قال لعلوي: يا أخي، فرد عليه العلوي – وهو من أسرة معروفة مشهورة – بغضب قائلاً: (أخوك الكلب)، ومن أغرب الأمور أنني طلبت من أحد الأصدقاء العلويين الأفاضل العازفين عن المناصب ترجمته لإدراجها في كتابي (هِجر العلم ومعاقله في اليمن)

(16) السُبَل: جمع سُبلة، وهي ذيل الحمار، ويكنى بها عن الحمار نفسه: أي أن هؤلاء العلماء الفضلاء حَمير لأنهم رفعوا أنفسهم إلى مستوى العلويين، وارتقوا بذلك مرتقى صعباً.

فلبَّى طلبي، ولكنه اشترط عليَّ بعد أن علم أنني أحذف الألقاب أن أسلسل نسبه إلى الجد الأعلى الذي يتصل نسبه به، فقلت في نفسي: وماذا يجدي هذا في ﴿فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءلُونَ﴾ وفي الحديث الشريف «من بطَّأ به عمله لم يُسرع به نسبه».

وهذه قضايا معروفة من قضايا عديدة لا أريد التوسع في ذكرها، ولعل أحمد بن محمد الشامي وهو الشاعر المؤرخ قد اطلع على أبياتٍ لأحد شعراء العلويين في بلاد صعدة يمدح آل يحيى بن يحيى سادات الجبال بقوله:

يا آل يَحيَى بن يَحيَى أنتمُ الناس وسـائرُ النـاسِ أرجـاسٌ وأنجـاس

وإذا لم يكن قد اطلع عليها فسأحيله على مصدرها ليطلع عليها، ولا سيما ونسبه يتصل بهم عن طريق الداعي يحيى بن المحسن بن محفوظ - كما يزعمون- ، وذكر عيسى بن لطف الله بن المطهر بن شرف الدين في كتابه (رَوْح الروح) أن الشريف صلاح بن أحمد خرج على جدِّه الإمام المطهر بن شرف الدين، واستولى هو وأتباعه على حصن الطويلة، فلما علم المطهر، وكان في ثُلا سارع بنفسه، وأحاط بالحصن فطلب الشريف صلاح الخروج من الحصن مع أتباعه، ونزل على حكم المطهر، فلما مثل بين يديه أمر بأن تُكبل أرجل أتباعه وتربط إلى الجمال فسحبتهم على وجوههم حتى تمزقت أجسامهم، وتناثرت أشلاؤها في الطرقات الوعرة، أما الشريف صلاح قائد التمرد فقد كرّمه المطهر لكونه من الأشراف!! وأمر له ببغلة ليركب عليها، ولكنه أنف أن يركب على البغلة بعد أن رأى ما حل بأصحابه، فحينئذ أمر المطهر بقطع رأسه، ففي أي قانون وضعي بله الديانات السماوية أن يقتل الجندي المأمور، ويكرم قائده المحارب العاصي المتمرد؟ ولكن هذا جائزٌ في قوانين العنصرية!!

فما رأي الأخ الشامي في هذه البراهين؟ وما مكانها من محاولته لتبرئة ساحته وساحة أهله وعشيرته من التعصب والتعالي؟ وهل من يرفض المساواة والكفاءة مع إخوانه في الدين يتمتع بصفة الإيمان التي جاء بها القرآن الكريم في قوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ وغيرها من الآيات البينات التي تحض على الأخوة والمساواة، والتي تُتلى منذ ألف وأربعمائة سنة ونيف، ولكنها لم تطبق عندكم في اليمن. والغريب أن هذا التمييز العنصري العرقي لم يكن قاصراً على الأحياء من غير العلويين فحسب، بل كان مطبقاً حتى على الأموات منهم، فهذا الإمام أحمد حميد الدين قد أمر قبل توليه الإمامة بهدم ضريح أحمد بن موسى بن عُجيل في (بيت الفقيه) سنة 1348هـ، 1930م كما أمر بهدم قبر أحمد بن

علوان في يَفرس سنة 1361هـ، 1943م (17)، ولا شك أنه قد أحسن صنعاً إذا كان الهدف من عمله هو إزالة البدع والمنكرات المخالفة للكتاب والسنة، وصرف الناس عن التماس الخير والبركة من أصحاب تلك القبور إلى الالتجاء إلى الله سبحانه.

ولكن لماذا لم تمتد يدُه فتهدم القبور الأخرى التي يلتمس عندها العامة الخير والبركة، فقد ذكر الشوكاني في رسالته (الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد) ص12: أنه روي لنا أن بعض أهل جهات القبلة (الجهات الشمالية من صنعاء) وصل إلى القُبة الموضوعة على قبر الإمام أحمد بن الحسين صاحب ذي بين رحمه الله فرآها وهي مُسرجة بالشمع، والبخور ينفح في جوانبها، وعلى القبر الستور الفائقة، فقال عند وصوله الباب: "أمسيت بالخير يا أرحم الراحمين"! أما كان أحرى بالإمام أحمد أن يخرب هذا الضريح الذي قد تحول صاحبه عند عامة البلاد المجاورة له إلى إله، وذلك ليضرب للناس المثل بعدله ومساواته في أحكامه، ولكنه لم يفعل، والأسباب يعرفها الشامي فلا داعي لذكرها، بل هناك ما هو أغرب من ذلك ففي (الجامع الوجيز) للجنداري أن الإمام المنصور محمد بن يحيى حميد الدين أمر قبيلة أرحب ببناء تابوت وقبة على قبر الإمام أحمد بن هاشم الويسي المتوفى سنة 1269هـ والمقبور في (دار أعلا) للتبرك به، وهدّدهم بأنهم إن لم يفعلوا ذلك فإنه سينقل رفاته إلى مكان آخر، فما كان من أهل أرحب إلاّ أن بنوا له قبة، ووضعوا على قبره تابوتاً.

وهذا الصنيع له سوابق كثيرة، وشواهد عديدة، ففي سيرة الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة المتوفى سنة 614هـ رسالة موجهة منه إلى أهل (لَصَف)[18]، يهددهم فيها بنقل رِفات أخيه إبراهيم بن حمزة[19] من عندهم لأنهم لم يهتموا بقبره، ويجعلوه مزارا، وهذا نصها:

«بسم الله الرحمن الرحيم. من عبدالله المنصور بالله أمير المؤمنين إلى كافة الساكنين بلَصَف من المؤمنين والمسلمين، سلام عليكم فإنا نحمد الله إليكم الذي لا إله إلا هو، ونسأله لنا ولكم التوفيق لما يحب ويرضى.

(17) أشاد الأستاذ الشامي بما صنعه الإمام أحمد حميد الدين من هدمه لقبر ابن علوان في كتابه (إمام اليمن أحمد حميد الدين) في ص 90-96، ولكنه لم يتعرض لما كان يجب على الإمام أحمد أن يفعله من اجتثاث القبور المشابهة لقبر ابن علوان التي يقصدها الناس للتبرك بها والدعاء عندها والتوسل بأصحابها.

(18) لَصَف: قرية في نِهم بالقرب من المديد.

(19) كان قائداً لأخيه الإمام عبدالله بن حمزة في مَطَرة من ناحية نِهْم، فجاء إليها وَرْدَ سار أحد قادة الدولة الأيوبية في اليمن في الثامن من ربيع الأول سنة 600هـ واشتبك معه في حرب انتهت بمقتل إبراهيم بن حمزة وهزيمة جنده. ومطرة هي المعروفة اليوم بقطرة، وهي المنطقة الواقعة غرباً من المَديد وبيت معصار في نِهم.

أما بعد: فقد بَلَغَنا جَفوتُكم للشهيد الذي تُوفي بين أظهركم، وحط رحلَه بين أفنيتكم، وجاد بنفسه دون بلادكم، واستقبل بوجهه العدو صبراً واحتساباً حين زاغت الأبصار فشلاً، وبلغت القلوبِ الحناجر وجلاً، وظن قومٌ بالله الظنونا جزعا، وابتلي المؤمنون بالهزيمة امتحانا، وزلزلوا بالحادثة اختبارا، فرخص عنده من الموت ما غلا عند غيره، وغلا عنده من الفرار ما رخص عند سواه، وعلم القصد فتم العزم، ومضى على البصيرة على مناهج السلف الصالح مستقبلاً لكثرة العدو عزمه، ومستصغراً لعظيمة نجده، فبلغنا أنكم هاجرون لقبره، قالون لمصرعه، قد صغَّرتم منه ما عظم الله سبحانه جهلاً، وجهلتم ما علم الصالحون حيرة وشكا، كأنكم لم تسمعوا أقوالِ محمد صلى الله عليه وآله فينا – أهل البيت خاصة – «أقرب الناس مني موقفاً يوم القيامة بعد حمزة وجعفر رجل من أهل البيت خرج بسيفه فقاتل إماماً ظالماً فقتل»، فهلا – رحمكم الله – استشفيتم بتراب مصرعه من الأدواء، وسألتم بتربة مضجعه رفع الأسواء، واستمطرتم ببركة قبره من رحمة ربكم طوالع الأنواء، وعظمتم حاله كما يعظم حال الشهداء، وأوجبتم من حقه ما ضيع الأعداء، وعمرتم على قبره مَشهداً، وجعلتموه للاستغفار مثابة ومقصداً، ونذرتم له النذور تقرباً، وزرتموه تودداً إلى الله سبحانه وإلى رسوله صلى الله عليه وآله وإلينا تحبباً، فقد رُوينا عن أبينا صلى الله عليه وآله في حديث فيه بعض الطول: «أنه نظر إلى الحسن والحسين عليهما السلام وهما يلعبان بين يديه فبكى، فهابه أهلُ المنزل أن يسألوه، فوثب عليه الحسين عليه السلام فقال: ما يبكيك يا أبتي؟ فقال: إني سررت بكما اليوم سروراً لم أُسَرّ به قبله مثله فجاءني جبريل فأخبرني أنكم قتلى، وأن مصارعكم شتى، قال يا أبتي: فمن يزورنا على تباين قبورنا؟ قال: قوم من أمتي يريدون بذلك بري وصلتي إذا كان يوم القيامة أتيت حتى آخذ بأعضادهم فأنجيهم من أهوالها وشدايدها.

ألا فاعلموا بعد الذي بلغنا عنكم أنا قد قلينا له جواركم، ورغبنا به عن داركم، وعلمنا بعد الخيرة لله سبحانه وتعالى على نقله من أوطانكم إلى من يعرف حقه[20] ويتيقن فضله وسبقه فلو رعيتم له حرمة القرابة وفضل وراثة النبوة! تأمل! لعلمتم حرمة ذلك الدم الزّكي، وكثر عليه منكم الباكون والبواكي، فإن كان ذلك من غرضكم فإنا نفعله إن شاء الله تعالى، وإن لم يكن من إرادتكم فلسنا بتركه بتوفيق الله سبحانه والسلام»[21].

(20) نقل إلى الزّاهر في الجوف.

(21) سيرة الإمام عبدالله بن حمزة 753/2.

مع أنه كان الأحرى بالأئمة أن ينقادوا ويمتثلوا لما روي عن جدهم علي بن أبي طالب الذي أوصى أبا الهياج الأسدي حيث قال له: «ألا أبعثك على ما بعثني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على أن لا تدع قبراً مشرفاً إلاّ سويته، ولا صورة إلاّ طمستها»، ولكنهم لم يفعلوا شيئاً من ذلك وإنما فعلوا عكس ما جاءت به السنة.

وعلى هذا؛ فالتشيع بالكلام لا قيمة له ما لم يقتدوا بأمير المؤمنين علي رضي الله عنه سلوكاً في زهده وورعه، وأعماله كلها ليكونوا أسوة حسنة لغيرهم فيحبهم الناس حباً صادقاً.

فأين العدل والمساواة؟ بين المسلمين الأحياء منهم والأموات، ولماذا لم يرتفع صوت ينكر هذا الظلم الماحق وهذا الجور الصارخ؟ مع أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصل من أصول الدين عند الزيدية، وإذا لم يستعمل في إزالة هذا الظلم المجافي لسنة الله في عباده ففيم إذاً يستعمل؟ مع أن كتاب الله يطلب من أتباع محمد عليه الصلاة والسلام إشاعة العدل ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ الأنعام: 152.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾[22].

﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[23].

على أنه إذا ما أنكر أحدٌ هذا الجور الفادح، وتململ من هذا الظلم الشنيع، ومقت هذا الاستعباد المهين، وكشف عن حقيقة الواقع وأسبابه ودوافعه من باب ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ﴾[24] اتهم بأنه قد تنكب عن منهج الحق، ومرق عن الدين، وأنه عنصري متعصب – على حد تعبير الشامي – ناصبي[25] يكره أهل البيت، ويبغض من ينتمي إليهم حتى يفقدوه صوابه، ويسكتوا صوته، وإذا تمكن وجار بالظلم شوّهوا كلامه عند جمهور الناس، حتى لا يرتفع لأحدٍ صوت.

---

(22) المائدة: 8.

(23) النور: 63.

(24) النساء: 148.

(25) أمّا اليوم فهو في نظرهم وهابي.

وأقرب مثل على ذلك ما كان يفعله الإمام يحيى بن محمد حميد الدين ضد منتقدي سياسته وجوره وظلمه؛ فحينما أمر سنة 1355هـ، بسجن محمد عبدالله المحلوي والشهيد أحمد بن أحمد المطاع والعزي صالح السنيدار، وعلي بن عبدالوهاب الشماحي وعبدالله بن محسن العزب ومحمد بن أحمد المطاع، أشاع في الناس عن طريق أتباعه أنهم كانوا يريدون اختصار القرآن الكريم، وأنه لهذا السبب سجنهم تأديباً وزجراً لهم وذلك ليخفي الحقيقة عن الناس، كما أنه أمر الشاعر الأديب محمد بن أحمد السياغي حينما سجنه في القلعة بسبب نقده لسياسته بنقل كتابه (الفصول الخوارزمية) في فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بقلمه ليتشرب – على حد تعبيره – محبته كشرط لإطلاقه من السجن، مع أنه لا علاقة بين نقده لسياسة الإمام يحيى وبين محبة علي بن أبي طالب، ولكن ليصرف نظر الناس عن ظلمه وجوره بمثل هذه الدعاية الزائفة غير المستساغة.

كذلك فإنه لما قويت حركة الأحرار وعظم نشاطهم سنة 1363هـ (1944م) بعد أن فرَّ منهم من فرّ إلى عدن[26]، وصار لهم صوت مسموع، قام الإمام يحيى هو وأولاده أحمد والحسن باعتقال الأحرار في صنعاء وذمار وإبّ وتعز ونواحيها، وأمر الإمام بأن يُغَلَّ ستة أشخاص[27] منهم، وتُطوق أعناقهم بسلسلة واحدة، وألزمهم بالسفر على أقدامهم من صنعاء إلى تعز لمدة ثمانية أيام حتى تورمت أقدامهم!، وسالت الدماء منها، فكتبوا له برقية من (معبر) مركز ناحية جهران يناشدونه أن يفك عنهم الأغلال، وأن يسمح لهم بركوب سيارة نقل لتحملهم إلى مدينة يريم بعد أن عجزوا عن المشي، فأجاب عليهم بقوله: «من الإمام إلى صَبره ورفاقه، ما كان أغناكم عما ساقكم الشيطان إليه من إنكارٍ نعمتنا على اليمن التي لا يوجد مثلها تحت أديم السماء، فاليمن لم تعرف حكماً مثل حكمنا من عهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب!! وما ندري مالذي تريدون؟ ومَن الذي تريدون؟ ومع هذا فقد أمرنا بموتر عسلان[28] لحملكم إلى يريم». فهو قد أثبت هنا – وهو العارف بتاريخ أسلافه – أن حكمه أفضل مِن حُكم مَن مضى من قبله من الأئمة وغيرهم، وحكمه يعرفه الخاص والعام.

(26) مثل أحمد محمد نعمان، ومحمد محمود الزبيري، وأحمد محمد الشامي، وزيد الموشكي، ومطيع دماج، وعبدالله بن حسن أبو راس.

(27) هم عبدالسلام بن محمد صبره ومحمد بن أحمد السياغي والشهيدان يحيى بن أحمد السياغي، وحمود السياغي، وجازم محمد الحروي، وإسماعيل بن علي الأكوع مؤلف هذا الكتاب.

(28) كان هو التاجرَ الوحيد في صنعاء الذي يملك سيارة نقل.

كما أجاب على مراجعة بعض رؤساء قبيلة خولان للإفراج عن النقيب عبداللطيف بن قايد بن راجح أحد زعماء الأحرار بإحالتهم على ابنه أمير لواء إب الحسن بن الإمام يحيى، وكتب إليه هذا الكتاب «الولد سيف الإسلام شرف الإسلام الحسن بن أمير المؤمنين... حفظكم الله تعالى، وشريف السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأنه وصل إلينا بعضُ عقال خدامتنا (تأمل!) خولان مراجعين من أجل عبداللطيف بن قائد بن راجح، وأفدناهم بأن الأهم لدينا هو أن تكون عقيدته التي عُرف بها هو وأبوه وأسلافهم من محبة آل محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأئمتهم ثابتة غير متغيرة، فالخسران العظيم هو على من فاته ذلك الذي تشرفوا به، ونالوا به أنواع الخيرات! وقد استحسنا وصولهم إليكم، فأنتم أعرف بالحقيقة، وما الذي كان منه من هفوة لتوضحوا ذلك لهم، وترفعوه إلينا. وما ساءنا منه أكثر من اختلاف عقيدته وخروجه عن طريق أسلافه وبلاده مع أنه لم يكن منكم إليه إلاّ غاية الإحسان، ومع كون حقيقة أمره مجهولة لدينا أمرنا العُقّال بالعزم إليكم، وهم وصلوا إلينا برأسين[29] بقر، وقد سلمنا لهم مائة ريال، والسلام عليكم ورحمة الله، 9 جمادى الأولى سنة 1364هـ»[30].

وليس لي من تعليق على هذا الافتئات المجافي للحقيقة، فكل ما كان الأحرار يهدفون إليه من نقد سياسة الإمام يحيى وأولاده هو توجيهه بالحسنى للأخذ بأسباب الحضارة النافعة، ونشر العدل بين الناس، وعدم ظلمهم، والتقيد بحكم الله، والعمل بكتابه وسنة رسوله، كما أن عبد اللطيف بن قايد بن راجح لم تتغير عقيدته نحو آل محمد، وإنما أنكر ظلم الإمام يحيى وظلم أولاده فقط، ذلك الظلم الذي أنكره عليه آلُ الوزير وآل عبدالقادر، والسيد حسين الكبسي، والعلامة المؤرخ أحمد بن أحمد المطاع، والسيد أحمد بن محمد الشامي نفسه – مؤلف كتاب (جناية الأكوع) – والقائل في الإمام يحيى من قصيدة طويلة:

أيها المستبد بالأمر فينا	خَفِّف الوطءَ ما أظنك سالم
قم؛ فإن الأخطار حولك تسري	قم؛ فإن الردى بأفقك جاثم
لَم تلد للخلود في الأرض كلا	سوف تغدو أسيْر قبْرك نادم
أنت أنعمتَ شعبنا بالدّواهي	أنت أفنيت قومَه بالمزاعم
أنت ألبسته ثياب المخازي	أنت دَنَّستَ طُهره بالسخائم
أنت ما أنت لست إلاّ مثالاً	من ضَلال مُخَضَّبٍ بالمآثم

(29) برأسين: أي بثورين تثنية ثور، وتقديم الأثوار وذبحها من أعراف القبائل لطلب الصفح والعفو.

(30) عندي من هذا الخطاب صورة أعطاني إياها نجله النقيب محمد بن عبداللطيف بن قايد بن راجح، وقد نشر في مجلة (النضال) العدد 28 مارس سنة1981م.

لا حيـــاءٌ لا عفـــةٌ لا احتـــشامُ لا وقـــارٌ، لا شـــيمةٌ، لا تراحـــم
كلـــه قـــسوةٌ وظلـــمٌ وفتـــكٌ لجهـــولٍ ومـــستغيثٍ وعالـــم
أيهـا الـشعبُ كيـف ترضـى هوانـاً لِـمَ تبقـى موطـأً بالمناســم
كيـف ترضـى الحيـاة في عِـزِّ غـرٍّ مـستهامٍ في سـلب مالـك هائـم

وأنكره غيرهم من علماء ورؤساء وزعماء اليمن، وكان أقصى ما يطلبه الأحرار من الإمام يحيى وأولاده إشاعة العدل بين الناس ورفع المظالم، ولكن الإمام تجاهل هذه الدعوة، وحصر المسألة في الموالاة والمعاداة، لأن عبداللطيف إذا كان يناصب الإمام العدا لظلمه وجوره فهو عنده يكره آل محمد بطريق الإلزام، ويخشى عليه أن يدركه الخسران، وهكذا تحول الموضوع إلى تكفير وتفسيق ومروق عن الدين في إطار «فمن عاداه: فبقلبه مخطئ، وبلسانه فاسق، وبيده محارب» مع أن الواجب على الإمام لو كان منصفاً وعادلاً أن يبحث عن الأسباب التي أدت إلى تغيير القلوب عليه، وتحولها عنه فيسعى لإصلاح ما أفسده حكمه، ولو فعل ذلك لجنّب اليمن أهوالاً كثيرة، ولحفظ لها ثروتها وأموالها ودماءها، ولأشاع الحب بين أبناء الشعب على مختلف طبقاتهم، ولبقي أولاده حكاماً على اليمن إلى اليوم وإلى ما شاء الله لا أن يتخوف على مصير عبداللطيف لخروجه عن طريق أسلافه من محبة آل البيت!.

كذلك فقد استنكر أحمد الشامي في الفصل الثالث من كتابه (جناية الأكوع على ذخائر الهمداني) ص27 على القاضي محمد الأكوع إسقاط الـ(آل) من الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في خطبة مقدمته على (شرح الدامغة) ولا سيما وهو قد ذكر الصحابة والتابعين. ومع أن الصلاة وكيفيتها من المسائل الخلافية إلاّ أنه كان من المستحسن على المحقق في هذه الحالة ذكر الـ(آل) ما دام قد ذكر الصحابة كما جرت العادة بذلك، على أن أهل السنة يحصرون الصلاة في النبي صلى الله عليه وسلم وحده محتجين بالآية الكريمة ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الذينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيما﴾[31] وذكر شيخ الإسلام الشوكاني – وهو من أكبر علماء اليمن– في كتابه (فتح القدير) في تفسير هذه الآية ما لفظه: «واعلم أن هذه الصلاة من الله على رسوله وإن كان معناها الرحمة، فقد صارت شعاراً يختص به دون غيره، فلا يجوز لنا أن نصلي على غيره من أمته»[32].

(31) سورة الأحزاب: 56.
(32) فتح القدير: 292/4.

أما من هم الآل فإن الأستاذ الشامي قال في ص 125: «وقد أجمعت (تأمل) كتب أمهات السنة وجميع كتب الشيعة على أن المراد بأهل البيت في آية التطهير النبي وعلي وفاطمة والحسنان»[33].

والحقيقة أنه ليس هناك إجماع على الإطلاق إلاّ عند الشيعة فقط، أما علماء المسلمين من غير الشيعة فهم لا يرون هذا الرأي، فـ(الآل) عندهم يشمل زوجات النبي (أمهات المؤمنين) بدليل موقع آية التطهير من الآيات التي تبدأ بقوله تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ إلى قوله تعالى ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾[34].

وهذا لسان عربي مبين، والتذكير في (عنكم) الذي يحتج به الشيعة في أنه صرف الآية من نساء النبي إلى النبي نفسه وعلي وفاطمة والحسنين فقط يعود إلى لفظ (أهل)، وهو مذكر، فلهذا أعاد الضمير إليه بلفظ الجمع، وله شواهد كثيرة في القرآن الكريم مثل قوله تعالى: ﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ* قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ* قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾[35] فالخطاب موجه إلى زوج إبراهيم، وكذلك قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾[36] وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا﴾[37]، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[38].

---

(33) أخبرني الشيخ قايد شويط من مشايخ قبيلة سحار من نواحي صعدة أنه سمع حسن بن علي عباس من (رحبان) في صعدة، يقرأ لبعض العامة قول الله تعالى ((إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين)) فزاد في الآية وآل محمد، فاعترض عليه الشيخ قايد، وقال ليس في القرآن آل محمد البتة، فأجاب بأن ذلك موجود في الآية في رواية ابن مسعود!! فانظر ما تفعل الأهواء والسياسة، فإنها تجعل صاحبها يفتري على الله كذباً متعمداً، فإذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنذر من يكذب عليه فقال: ((من كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار))، فإذا كان هذا الوعيد الشديد على من يكذب على رسول الله فكيف بمن يتجرأ ويكذب على الله عز وجل، ويزيد في القرآن ما ليس منه.

(34) سورة الأحزاب: 30-34.

(35) سورة هود: 71-73.

(36) سورة النمل: 7.

(37) سورة القصص: 29.

(38) سورة ص: 43.

ومما يؤكد أن لفظ الأهل في آية التطهير يخص نساء النبي صلى الله عليه وسلم فقط، وأن الضمير في (عليكم) وإذا عاد إلى (أهل) عاد بلفظ الجمع مثل قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة:196].

ثم ومن المراد بالأهل في قوله تعالى:﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا﴾(39) مع أن هذه السورة مكية، وعلي لم يتزوج بفاطمة رضي الله عنهما إلاّ في السنة الثانية من الهجرة.

ومن هم أهلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(40) أي خرجت من بيت عائشة رضي الله عنها، ولم يقل أحد من المفسرين أنه خرج من بيت علي رضي الله عنه.

هذا وقد أكد إمام المفسرين في عصرنا محمد رشيد رضا الذي ينتمي نسباً إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أن المراد بأهل البيت هم نساء النبي حيث قال في تفسير الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾(41) ما لفظه: ((فقد ورد تعقيباً لآيات في خطاب نساء النبي عليه الصلاة والسلام يأمرهن الله تعالى وينهاهن ويعلمهن بأن جزاءهن على الخير والشر مضاعف لأنهن لسن كسائر النساء، وهذا ظاهر معقول المعنى فإن بيت المرشد الكامل قدوة في الهدى والرشاد، ولو ظهر العمل السيئ من ذلك البيت الذي جعله الله منبعاً للهدى ومشرقاً للوحي، لكان أعظم منفر عن الاهتداء والإيمان؛ فقوله تعالى بعد تلك الأحكام: إنما يريد الله... الخ، تعليل وبيان للحكمة في كون نساء النبي لسن كسائر النساء، كونهن جديرات بمضاعفة العذاب على المعصية، والثواب على الطاعة لمكان القدوة، وإنما قال (عنكم) لأن النبي صلى الله عليه وسلم في البيت، وهو المقصود بالتطهير أولاً وبالذات، لأن كمال نسائه ينسب إلى هدايته صلى الله عليه وسلم(42).

وقال شيخ الإسلام الشوكاني في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ أي إنما أوصاكن من التقوى وأن لا تخضعن بالقول، ومن

---

(39) سورة طه: 132.

(40) سورة آل عمران: 121.

(41) سورة الأحزاب: 33.

(42) مجلة المنار ص 225-235، الجزء السادس من المجلد الثامن الصادر يوم 16 ربيع الأول سنة 1323هـ 1905/5/21م.

قول المعروف والسكون في البيوت وعدم التبرج وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والطاعة ليذهب عنكم الرجس أهل البيت[43].

وعلى أي احتمال لمعنى (الأهل) فلن يخرج منها نساء النبي، وهذا ما أفصح عنه العلامة المجتهد صالح بن مهدي المقبلي حيث قال: «فالأهل يشمل لغة الأزواج رضي الله عنهن، والخطاب في القرآن لهن، فهن من أفراد أهل البيت في عصرهن»[44]. ولو سأل سائل أي شخص من عامة الناس أو خاصهم عن مدلول الأهل لما خرجت إجابته عن الزوجة والزوجات، فاستعمال الأهل للزوجة شائع لغة واصطلاحاً، فالناس يقولون: فلانٌ تأهل، أي صار له أهل، والأهل دخلوا أو الأهل خرجوا، وهم يعنون بذلك الزوجة أو الزوجات. وفي القرآن الكريم ما يشهد على هذا في قوله تعالى: ﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا﴾[45].

ولقد حاول العلامة يحيى بن علي الذاري رحمه الله أن يجد مخرجاً لغوياً يصرف معنى الأهل عن زوجات النبي في الآية إلى المعنى المقصود عند الشيعة، وذلك حينما حاول أن يرد على كتاب (الإسلام الصحيح) للعلامة محمد إسعاف النشاشيبي بكتاب سماه (القول الصريح في الرد على مدعي الإسلام الصحيح) فلم يجد ما يسعفه إلى مراده، وإذاً فليس هناك إجماع كما ادعى الشامي.

وإذا كان (الآل) هم من تحرم[46] عليهم الزكاة لما روي عن زيد بن أرقم عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: «وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي» ثلاثاً فسئل زيد بن أرقم ومن أهل بيته يا زيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده، قال السائل: ومن هم. قال: هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس رضي الله عنهم».

ولنسلم جدلاً أن من تحرم عليهم الزكاة هم آل علي فقط وأنهم هم وحدهم آل البيت، فمن من أئمة اليمن بله غيرهم قد حرم الزكاة على نفسه وعلى أولاده وعشيرته، ومن يمت إليه بصلة؟ وصرفها في مصارفها الشرعية المذكورة في القرآن الكريم، أظن أنه لا يوجد أحد قد فعل ذلك، وقد كفانا

(43) فتح القدير: 269/4.
(44) العلم الشامخ 15.
(45) سورة يوسف: 25.
(46) يراجع نشر العرف 460/2.

مؤونة الجواب عن هذا شاهدٌ من أهله، وهو الإمام البدر محمد بن إسماعيل الأمير رحمه الله في قوله:

إنّي؛ ومن بيت الإمام عصابة	في العدّ قد زادوا على الآلاف
يسترزقون من الرعايا ليتهم	قنعوا بأكل فرائض الأصناف
بل يأخذون من الرعايا كل ما	يحوونه كُرهاً بلا استنكاف

وهذا الإمام يحيى بن حميد الدين الذي ادعى أن اليمن لم تنعم بالعدل والرخاء في أي عهد من العهود السالفة مثلما نعمت تحت ظل حكمه، هل حرّم الزكاة على نفسه وعلى أولاده؟ أجل لقد منعها عن فقراء المسلمين واستأثر بها لنفسه وأولاده يتصرفون بها كما لو كانت ميراثاً شرعياً له، ولم يصرفها في مصاريفها المشروعة حتى في سني المجاعة التي كانت تتعرض لها اليمن ما بين حين وآخر؛ وكان آخرها مجاعة سنة 1362هـ (1943م) وهي التي مات فيها الآلاف من الناس جوعاً في بلاد الشرفَيْن من نواحي حجة ولواء إب ولواء تعز وغيرها من النواحي والألوية، فرحل من قَوِي على المشي من الرجال والنساء والأطفال منهم إلى صنعاء إلى حمى (أمير المؤمنين المتوكل على الله رب العالمين يحيى بن محمد حميد الدين) أملاً في أن ينقذهم من غائلة الجوع فامتلأت شوارع صنعاء والروضة حيث كان يسكن الإمام فلم يَرِقّ له قلب، ولم تدمع له عين لحالهم التي تنفطر له القلوب، بل كان يتبرم من وجودهم في الشوارع، ويضجر من رؤيتهم، وشكى للقاضي محمد بن أحمد الحجري إزعاجهم له بكثرة السؤال، فرد عليه بما قاله النقيب منصور بن سعدان من قبائل برط لولده، وكلاهما كانا ضمن القوات الإمامية التي أرسلها الإمام يحيى سنة 1329هـ (1911م) بقيادة السيدين عبدالله بن إبراهيم ومحمد بن يوسف الكبسي إلى يريم لمد نفوذ الإمام إلى المناطق التي كانت تحت حكم الدولة العثمانية، فرحب أهلُ مدينة يريم بمقدم جيش الإمام وأحسنوا استقباله، ولكنه أبى إلاّ أن يقتحم بيوت الناس الآمنين عنوة فقتل ونهب ما فيها، فكان بيت التاجر محمد علوان الشاوش من نصيب النقيب منصور فاستولى على ما فيه، وهربَ منه أهله إلى الشارع، فجاء أحد أولاد صاحب البيت يلتمس من الغاصب له شيئاً يسد به رمقه، فرق النقيب منصور لحال الطفل وقال لابنه: «ادَّ لِه يا ولدي ما شي عند الله يضيع» أي أعطه يا ولدي فلن يضيع لنا الأجر عند الله، ففهم الإمام ماذا يقصده الحجري

من ضرب المثل، وأن المعنى: أعطهم أموالهم[47] التي منعتها عنهم واعتبرها صدقة منك لهم.

وقد صور القاضي يحيى بن محمد الإرياني رئيس الاستئناف المتوفى سنة 1362هـ 1943م هذه الحادثة الشنيعة شعراً، لأنها وقعت وهو في يريم مشاهداً للمأساة بكاملها، فقال من قصيدة طويلة نجتزئ منها بعضها:

على رسلكم أهلَ المحابر والقلم ... بذا خبّروا فلينقل الرَّقمَ من نَظَم
قفوا ريثما أملي عليكم رسالةً ... لها الصدقُ خالٌ وابن خالٍ لها وَعَم
منَزّهةً عن ذكر ليلى وزينب ... ومشغولة عن وصف سلمى وذي سَلَم
بما كان حقاً في يَريمٍ وما جرى ... من القومِ مما أوقع الطفلَ في الهرم
فلم يتركوا للمسلمين جميعهم ... من المال ما يُجدي ببيعٍ ولا سَلَم
فقد أخذوها من مُحبٍ ومبغضٍ ... وما فرقوا بيْن الصحيح وذي السَقَم

إلى أن يقول:

فكم من ضعيفٍ قد أذيق بظلمهم ... عذاباً مع التنكيل والهتك بالحرم
وقطعهموا أذنَ الشريفةِ واقعٌ ... لقرطٍ حقيْرٍ لا يُقَوَّم بالقِيَم

وطلب من الإمام أن يعوض أهل يريم عما خسروه من أموالٍ وأنفس، فكان جواب الإمام قصيدة شعرية مماثلة لقصيدة القاضي يحيى في الوزن والروي يعده فيها بأنه سيلزم الجناة برد ما أخذوه، جاء فيها قوله:

فما بك بي، دع عنك ما قيل من وَهَم ... وليلى وذات الضَّال والبَان والسَّلَم

ثم قال:

وقد أخبرتنا عن يريم مبينة ... بما كان فيها عن لسانٍ لها وفَم
أتوا منكراً عمُّوا به كلَ منْزلٍ ... وما نَزُّهوا الأمر الشريفَ من الوَخم

ثم تخلص قائلاً:

أفيدك أني لست أرضى فعالهم ... ولا نُكْر ذي نُكرٍ ولا ظُلم من ظلم
وقد أقبلوا لما رأوا سوءَ فعلهم ... علينا، وقالوا أنت يا ذا النُّهى الحَكَم

---

(47) كانت هذه الأموال تفهق بها قصور الإمام والكهوف (الجروف) في جبل نُقُم وغيره، وكان الحَبّ في مخازن الدولة في جميع مدن اليمن وكان يفضل الإمام يحيى أن يتلف ويفسد ويتعفن على أن ينفقه لمستحقيه من فقراء أهل اليمن.

وحطوا مواثيق الوفا عن نفوسهم		إلى أجل أن يرجعوا كلٌّ محترم
فمهلاً فإن وافوا بصدقٍ تنزهوا		به عن مساوي الغي والبغي والنَّدَم
وإلاّ فقد انذرتهم يومَ كُرِيَةً		يسوق إليهم كل هَمٍّ وكل غم
وبالأدهم المبْروم في سَوق رهنهم		وفاءً وتبكيتاً وفي صولة الرسم

فخاب ظنه في عدل الإمام يحيى، وزاد في حزنه أن الإمام وعده بتعويضه وحدَه إذا كان قد ناله شيءٌ من النهب أو الخسارة، فأجاب على الإمام بأن اهتمامه بالموضوع ليس من أجل نفسه، ولكن من أجل الضعفاء والمساكين الذين ذهبت منهم أرواح، وأنه قد أخبرهم أن الإمام سيعوضهم عما خسروه وفقدوه من أموال المسلمين فقال:

ولَم تملك الأطماعُ قلبي، ولَم أقل		لشيءٍ عظيمٍ ليت لي ذا يقدرُ
ولكنني آسى لإخلاف موعدٍ		وعدتُ به القومَ الذين تضرروا
وقلت لهم: هذا الإمامُ مُؤَمَّلٌ		سيجزلُ تعويضاً لكم ويوفرُ
ولن يخلف الوعدَ الذي قد أتى به		وإخلافه الميعاد لا يتصور

وكانت المغالطة والوعود الخلابة هي جواب الإمام، بينما أعطاهم الوالي العثماني أحمد عزت باشا ألف دينار ذهباً (ليرة).

ومن الطرائف – والشيء بالشيء يذكر – أن الشاعر يحيى بن علي الذاري كان لدى الإمام يحيى في القفلة مقيماً عنده مع كثيرٍ من العلماء لمؤازرة وتحريض القبائل على محاربة الدولة العثمانية فاشتهى عسلاً على الطعام الذي كان يقدم لهم من دار الإمام، فطلب من أحد أولاد الإمام الصغار أن يحضر له عسلاً من القصر، فأجاب: بأن العسل الموجود في القصر هو من الزكاة، فقال السيد الذاري على الفور: ومنين كبرين ضُجَنُك وضُجّن أبوك إلاّ من أكل الزكاة، (أي من أين امتلأ خدّاك وخدا أبيك واكتنازها باللحم إلاّ من أكل أموال الزكاة)، كما أن السيد العلامة أحمد بن يحيى عامر طلب أيضاً من الإمام يحيى عسلاً فقال له: إنه ضُر، أي مضر بالصحة، فجاء أحد الزراع بظرف عسل نذراً للإمام، وطلب من الإمام أن يكتب له وصلاً (سنداً) ليتبرك به فأمر الإمام العلامة أحمد بن يحيى عامر بأن يكتب الوصل فكتب: (أوصل فلان ابن فلان ظرف (ضُرّ) بارك الله له في حاله وماله) وأعطى الإمام يحيى الوصل لتوقيعه فاستنكر الإمام من الكلمة، وسأله عنها، فأجابه بقوله: ألم تقل إن العسل

ضُر، فكتبناه كما أفدت، فأمر الإمام حينئذ بأن يُعطى للعلماء عسل مع طعام الصبوح (الفطور).

كذلك فقد استنكر الشامي في الفصل الرابع ص 49 على الأكوع إطلاقه كلمة (العلوي) على الإمام الهادي، كما استنكر أيضاً في كتابه (قصة الأدب في اليمن) على الهمداني استعماله هذا الاصطلاح، ولا أرى هناك موجباً لهذا الاستنكار، فهذا اصطلاح شائع ومعروف في التاريخ الإسلامي منذ أن كان للعلويين نشاطٌ سياسي ضد الأمويين ثم العباسيين أثناء محاولتهم للاستيلاء على الحكم، كما أن تاريخ الأئمة في اليمن طافح بذكر العلويين، وحسبه أن يعود إلى (غاية الأماني) وسيرى على سبيل المثال صفحات 148، 149، 174، 199، 215، 216، ففيها ما يؤكد هذا الاستعمال.

كما أن الإمام الهادي كان معروفاً بالعلوي قبل أن يوجد الهمداني، وكان اسم كاتب سيرته علي بن محمد بن عبيدالله العباسي العلوي (ابن عم الهادي) مع أن الأستاذ الشامي نفسه قد استعمل هذا المصطلح في كتابه (إمام اليمن أحمد حميد الدين) ص68، حيث قال: هذا الحب للأسرة العلوية كان أقوى سبب في عدم خضوع اليمنيين للحكم التركي، ولكن (لهوى النفوس سرية لا تعلم) وليس هناك غضاضة أو مذمة أو انتقاص أن ينسب المرء إلى أبيه البعيد؛ فالناس يقولون: الأمويين والعباسيين والفاطميين أو العبيديين والأيوبيين والصليحيين والرسوليين والطاهريين نسبة إلى جدودهم البعيدين، على أن كلمة (العلويين) أدق دلالة على ذرية علي بن أبي طالب رضي الله عنه من العدنانيين التي تشمل بطون قريش كلها، وأدق من الهاشميين التي تشمل أولاد عبدالمطلب بن هاشم بما فيهم أبو لهب التي استعملها الشامي في كتابه (جناية الأكوع) ص77، لأنها تشمل أولاد أبي طالب كلهم علي وجعفر وطالب وعقيل وأولادهم ومن تناسل منهم.

وذكر الشامي في ص 94، وص 95، وص 96، أن الهمداني كان زيدياً، واستدل على ذلك بمحبته وتمجيده لأهل البيت ولم يذكر أين وجد ذلك؟ كما أنه لم يُشر مَن المقصود بأهل البيت؟ وإذا كان الأمر كذلك فإن المسلمين كلهم زيدية لأنه لا يوجد أحد يؤمن بالله ورسوله يكره (آل البيت) على الإطلاق. على أن من يطلق عليهم في اليمن زيدية نسبة إلى الإمام زيد بن علي ليسوا من أتباعه، وإنما سموا زيدية تجوزاً في ذلك، ذلك لأنهم يخالفونه في أمور هامة، منها: أن الإمام زيد كان يعظم من شأن الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، ويرى لهم حقهم من الإجلال والتقدير والأسبقية، بينما من يطلق عليهم في اليمن

زيدية من الأئمة وأشياعهم أكثرهم جارودية (فرقة من الزيدية) كما ذكر نشوان بن سعيد الحميري ينالون منهم ويحتقرونهم إلاّ من رحم ربك وقليل ما هم، وكان الإمام زيد يؤذن بالتربيع ويرفع يديه عند تكبيرة الإحرام ويضمهما في الصلاة، ويؤمن ويصلي الصلاة لوقتها، وذلك كما هو مروي عنه في مجموعه، وكما أفاد العلامة محمد بن إسماعيل بن صلاح الأمير صاحب (سبل السلام) في قوله:

ويقولـــون هـــم زيديـــة وهـــم عـــن نهجـــه في معـــزل

وقوله:

لا عـــذرَ للزيـــدي في تركـــهِ للرفـــع والـــضَمِّ وإحـــرامه
مكـــبراً قبـــل الـــدعاء إنـــه مـــذهب زيـــدٍ عنـــد أعـــلامه
وقـــول آمـــين لـــه مـــذهب قـــال بـــذا: عـــارف أحـــكامه
فاعمل بذا إن كنت من حزبه واطـــرح اللّـــوم للـــوامه

وله أيضاً:

أتـــزعم حـــب أقـــوامٍ وتنـــسى مذاهبهـــم وتجهـــل مـــا تقـــول
وترمـــي مـــن ســـواك بكـــل داءٍ وأنـــت بـــما تَفـــوه بـــه جهـــول

بينما زيدية اليمن ينكرون على من يفعل ذلك تقليداً لمذهب الإمام الهادي يحيى بن الحسين، فهم إذاً ليسوا بزيدية، وإنما هم هادوية[48]، إلاّ من نبذ منهم التقليد وعمل بالسنة النبوية مثل الإمام محمد بن إبراهيم الوزير والعلامة صالح بن مهدي المقبلي والعلامة الحسن بن أحمد الجلال والعلامة محمد بن إسماعيل الأمير والعلامة عبدالقادر بن أحمد بن عبدالقادر شرف الدين والعلامة محمد بن علي الشوكاني وغيرهم من علماء السنة.

على أن مذهب الهادوية الذي يقال له المذهب الزيدي لم يعم انتشاره في صعدة ونواحيها إلاّ في عهد الإمام أحمد بن سليمان في المائة السادسة أي بعد وفاة الهمداني بأكثر من مئتي سنة، أما في صنعاء فلم ينتشر انتشاراً واسعاً إلاّ في المئة الثامنة في عهد الإمام صلاح الدين، كما أنه لم ينتشر في بلاد ذمار ويريم ونواحيها

(48) أورد المؤرخ الكبير يحيى بن الحسين ابن الإمام القاسم في بهجة الزمن في حوادث سنة 1067هـ أن الشيخ أحمد بن علي بن مطير الحكمي كتب رسالة يذكر فيها أن الزيدية صاروا يخالفون كثيراً من أقوال الإمام زيد بن علي، ولا يذهبون إلى أقواله مع انتسابهم في المذهب إلى اجتهاده فكيف هذه التسمية مع المخالفة؟ والتحقيق أنهم هادوية لاتباعهم مذهب الهادي في الأصول والفروع فالنسبة إليه أولى.

إلاّ في المئة العاشرة بعد زوال الدولة الطاهرية، وقيام الإمام شرف الدين الذي عمل جاهداً على نشر هذا المذهب في بلاد يريم والنادرة وفي بعض نواحي رداع، ولم ينتشر في الحدا إلاّ في المئة الحادية عشر، وذلك في عهد الإمام المتوكل إسماعيل.

كما استنكر الشامي في الفصل السادس ص 103 على القاضي الأكوع انتسابه إلى بني حِوال حيث قال: «والقاضي محمد الأكوع نفسه حريصاً – دائما – على أن يلزق (هكذا) لفظة (الحوالي) إلى اسمه في كل مؤلفاته، أو في ما ينشره من كتب الهمداني متباهياً بانتسابه إليهم، وكثيراً ما مجّد دولتهم، وأثنى على سلاطينهم وأمرائهم من بني يُعفر الحواليين»، ثم أخذ يعدد مساوئ بني يُعفر فقال في ص 95: «إن وسائلهم في المكر والكذب والدس والكيد معروفة مشهورة، كما قال المؤرخون»!!، وكنت أتمنى من الأخ الشامي إذا كان متأكداً مما قال أن يذكر للقراء أسماء هؤلاء المؤرخين الذين ذكروا مساوئهم، وأين ذكروها؟ ويذكر شيئاً منها حتى يقره القراء فيما حكم به وجزم. ثم ينتهي به المطاف إلى هذه النتيجة:

«وإذاً... يا قاضي فهؤلاء هم الحِواليون الذين يفتخر القاضي محمد الأكوع بالانتماء إليهم، وكأنه يحسب أن ذلك سيعطيه حقاً شرعياً في المطالبة بعرشهم ناسياً أو متناسياً أننا أولاً مسلمون والحكم في الإسلام (تأمل!) كما قال شوقي رحمه الله:

فالـدين يـسرٌ والخلافـةُ بيعـة والأمـر شـورى والحقـوق قـضاء

ثانياً: إننا في عصر قد تلاشت فيه عنعنات الأنساب (تأمل!) وارجع البصر كرتين، وأن قيمة كل امرئ ما يحسنه (تأمل!) والشرف والرفعة فيه للعالم المخلص الأمين (تأمل!).

وثالثاً: أن أي ذي ذوق سليم أو ضمير حي لا بد أن يستهجن ويستغرب أخلاق وسلوك ومعاملة اليُعفريين الحواليين القساة العتاة؟ وسيلاحظ أنهم أطغى وأقسى أسرة، وبالطبع والوراثة حكمت في تاريخ اليمن المفعم تاريخه بالمآسي والكوارث والآلام)).

هذا ملخص ما قاله السيد الشامي في هذا الفصل.

ومع أن القاضي محمد الأكوع هو الوحيد في أسرة آل الأكوع الذي يضيف إلى لقب الأكوع لقب (الحِوالي) فإنه لم يأت بما يوجب الغرابة، فبنوا

الأكوع كانوا يعرفون ببني الحوالي قبل أن يشتهروا بالأكوع اللقب الطارئ، وما يزال بعض الأسرة في مرهبة يعرف ببني الحوالي إلى اليوم، والشامي نفسه قد ذكر في كتابه (قصة الأدب في اليمن) ص159 (محمد بن إبراهيم الحِوالي) وأحب أن أطمئن الشامي أن القاضي الأكوع لم يدع في يوم من الأيام أنه ينتسب إلى ملوك بني يعفر، وإذا كان من ينتسب إلى الملوك أو الأئمة أو الأمراء يخطر في باله هذا الخاطر الذي كشف عنه الشامي (ولا ينبئك مثل خبير)، وأنه قد يعطيه حقاً شرعياً في المطالبة بعرش أجداده فقد يُشَعّب (من كلمة أشعب) القاضي الأكوع مثل غيره، ولو على سبيل التجربة فينتسب إلى ملوك بني يُعفر إذ أن انتحال الأنساب في اليمن من الأمور الشائعة قديماً وحديثاً كما يشعب العلويون، لكن المشكلة أن النظام الجمهوري قد قطع عليه الطريق ولم يبق مجالٌ للتشعوبات، وما عليه إلاّ أن يرضى بالأمر الواقع، وقيمة كل آمرئ ما يحسنه.

أما ما اقترفه أسعد بن أبي يعفر من جرائم على حد تعبير الشامي، وأنه ارتكب مأساة شنيعة في قتل أسرة علي بن الفضل التي لا ذنب لها، فهذه هي طبيعة الحكام من ملوك وأئمة وأمراء في جميع العصور، ولكن ماذا كان سيفعل غير أسعد لو أتيحت له الفرصة نفسها، ولا سيما ومراجع تاريخ أئمة اليمن تصف علي بن الفضل بأنه (طاغية قرمطي، أظهر مذهبه الخبيث، ودينه المشؤوم، وارتكب محظورات الشرع، وادعى النبوة، ورقى على منبر جامع صنعاء، وخطب خطبة منكرة صرح فيها بعقيدته الكفرية، وبالغ في دحض الشريعة، وأباح لتابعيه الخمور، وإتيان الذكور، وارتكاب المحرمات، ونكاح البنات والأمهات، وأسقط حج بيت الله الحرام، وأتى بدين خالف جميع الشرائع والمذاهب والأحكام، واتخذ جامع صنعاء اصطبلاً للخيل، وكان مؤذنه يقول في أذانه: (أشهد أن علي بن الفضل رسول الله)[49]، حتى أحمد بن محمد الشامي نفسه سار على درب هؤلاء المؤرخين، فقال يصف ابن الفضل وأعماله في (دامغة الدوامغ):

ولابن الفضل في صنعاء يومٌ رهيبٌ لَم يكن في الغابرينا
أطل من المنارة والعذارى عرايا يستغثن الفاسقينا
ببيت الله يقترفُ المعاصي ويغتصبُ الحرائر والبنينا
ويفعل ما يشاءُ فسقاً وظُلماً ولا يخشى التبابع والذوينا

(49) غاية الأماني 197، أئمة اليمن 38/1، 39.

ولم يُمحص هذه الرواية ويخضعها لميزان العقل والمنطق كما دعا إلى ذلك في كتابه (قصة الأدب في اليمن) ص35 وهل يمكن أن يحدث مثل هذا من حاكم أياً كانت عقيدته ومذهبه في شعب مسلم، ولا يُستنكر منه أو يُردع عن طيشه وغوايته؟.

أليس ما ارتكبه أسعد بن أبي يعفر في علي بن الفضل وأسرته، وقد وصف بما ذكر آنفاً، هيناً؟ إذا ما قيس بما فعله «أمير المؤمنين الإمام المنصور عبدالله بن حمزة بفرقة المطرفية وهي من الزيدية ومن شيعة الإمام الهادي التي لا ترى الخروج عن مذهبه. وكان أفرادها – كما في تاريخ آل الوزير – مقبلين على العلم والتعليم، ولهم زهد زائد على جميع الناس في زمانهم، وهم عباد هذه الأمة وزهادها»!!.

على الرغم مما وصفوا به فقد كفرهم الإمام عبدالله بن حمزة بالإلزام، وخالف الأئمة باعتقاده بكفرهم تصريحاً لأنه كان «لا يفرق بين دار الحرب ودار الكفر، وأنهم زادوا على كفار المجوس والنصارى، وكذلك المُجْبرة[50]، وحكم عليهم بحكم المحاربين فاستحل دماءهم وأموالهم، وأخرب ديارهم ومساجدهم، وحكم بأنها ضرارية، وقام عليهم ونكلهم، وقتلهم في جميع أماكنهم، وهدم مساجدهم حتى مساجد هجرتي وَقَش وسناع كل ذلك بسبب المخالفة في الإمامة في مسائل الفروع».

وقد أنكر عليه علماء أجلاء من آل الوزير مثل الأميرين يحيى بن منصور، ومحمد بن منصور، فنسبهما الإمام عبدالله بن حمزة إلى المطرفية، وألحقهما بهم بحكم الإلزام والموالاة، كما جاء في تاريخ آل الوزير نقلاً عن سيرة الإمام عبدالله بن حمزة نفسه، وحكم على المجبرة بالكفر، واستباح نساءهم، وكانت أم ولده سليمان سبية من المهجم، فقال مذكرا لابنه سليمان بذلك:

سليمان بيتاك من هاشمٍ ومن آل قنطور بيتا شرف

كما أن أخاه الأمير يحيى بن حمزة سبى من صنعاء ستمائة سبية يمانية مسلمة، واقتسمهن هو وأعوانه في قاع طيسان من همدان، وقال الإمام المنصور

(50) وكان الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن الإمام القاسم يعتقد في غير أهل مذهبه هذا الاعتقاد، وله رسالة في هذا الموضوع سماها (إرشاد السامع إلى جواز أخذ مال الشوافع) اخبرني بها القاضي محمد بن يحيى الإرياني، وأنها موجودة لدى الشيخ علي بن يحيى الجَبي، هذا وقد انتقده ابن أخيه العلامة يحيى بن الحسين والعلامة أحمد بن علي الشامي على ما ذهب إليه في معتقده.

بالله عبدالله بن حمزة: ((أما السبي فنحن الآمرون به))، ذلك لأن صنعاء في ذلك الحين كانت تخضع لحكم الدولة الأيوبية التي قضى مؤسسها الملك العادل صلاح الدين الأيوبي على الأفرنج الصليبيين وأخرجهم من بلاد الشام وأعاد بيت المقدس للمسلمين، لأنهم – أي أمراء الدولة الأيوبية عند أئمة اليمن – كفار تأويل. ولهذا فإنه ما كاد الإمام عبدالله بن حمزة يدخل صنعاء سنة 612هـ حتى أخرب كثيراً من بيوتهم ولا سيما بيوت وقصور (بستان السلطان) طُغتكين بن أيوب، وفي مقدمتها الدار السلطانية.

وقال صاحب سيرته: إن الإمام لم يفرق بين دار الكفر، ودار الحرب، وأنه هو وشيعته في حياته وبعد مماته قضوا جميعاً بأن الدار واحدة، والحكم واحد حتى إنهم لما وقعت المراجعة بينهم وبين الإمام المعتضد بالله يحيى بن المحسن بن محفوظ[51] في ذلك ونحوه، ألزمهم أن مكة المشرفة دار حرب، والتزموا بذلك، وقال في أبياتٍ في هذا المعنى:

وقالـــوا: إن مـــكة دارُ حـــربٍ		حمـاها الله مـن طـاغٍ وعـاد[52]

فهل يستطيع أحمد الشامي ((أن يتحرر من قيود بيئته، ويثبت للتاريخ أنه لم يتأثر بما تأثر به المؤرخون من تعصبات مذهبية، أو دعوات سلالية، على حد تعبيره، وينصف غير أبناء طائفته، وأن يقول في الإمام عبدالله بن حمزة ما قاله على الأقل في أسعد بن أبي يُعفر مع الفارق الكبير فيما ارتكب كل منهما، والفارق الكبير فيمن وقع عليه الظلم؟ أم أنه سيلوذ بالصمت، وإن كان في قرارة نفسه يتفق مع ما قاله الشهيد محمد محمود الزبيري:

وذنبـهم رغـم أنف الشرع مغفـور

ذكر السيد الشامي أن القاضي الأكوع نفى المواطنة عن بعض المواطنين، والحقيقة أن القاضي الأكوع لم يقصد هذا، ولم يخطر له على بال، ولكنه أراد أن يبين أن الهاشميين هم أنفسهم الذين لم يقبلوا المواطنة الصحيحة برفضهم التساوي مع عرب اليمن الذين أحلوهم بينهم، وأنزلوهم منزلة أنفسهم، إذ أن

(51) هو أحد جدود أحمد بن محمد الشامي مؤلف (جناية الأكوع على ذخائر الهمداني) كما يدعي.

(52) حرصت على ذكر هذا المثال اضطراراً وإلاّ فإني قد ألزمت نفسي أن لا أتجاوز حدود عصر الإمام يحيى حميد الدين ووالده، ولو أردت الاستقصاء لمثل هذه الحالات لجاء ردي وتعقيبي في مجلد كبير، ورحم الله الشهيد أحمد بن أحمد المطاع الذي قال: إنه يستطيع إدانة أئمة اليمن من سيرهم، وصاحب البيت أدرى بالذي فيه.

شرط هذه المواطنة أن يكون لكل فرد ما للآخرين من حقوق وواجبات، وعليه ما عليهم سواءً بسواء لا امتياز لأحد لا بعرق ولا بمذهب وإنما بالكفاءة الذاتية.

لقد خرج كثير من عرب الجزيرة العربية شمالها وجنوبها، واشتركوا في الفتوحات الإسلامية، وسكنوا الأقطار التي فتحوها واختلطوا بأهلها، وصاروا منهم لا يميزهم عنهم لا لون ولا جنس ولا عنصر ولا لغة، وإنما هم كلهم أخوة تجمعهم كلمة (لا إله إلاّ الله) وقانونهم (إن أكرمكم عند الله اتقاكم)، ولا فضل لعربي على عجمي إلاّ بالتقوى، ولكن العلويين حينما جاؤوا إلى اليمن ظلوا متميزين عن اليمانين بأنسابهم، ومتعالين عليهم بجنسهم وذلك لاستئثارهم بأمور وخصائص حرموها على غيرهم، فأكدوا بهذا السلوك عدم انتمائهم إلى الشعب رغم طول مدة وجودهم، ونفوا عن أنفسهم حقوق المواطنة، فلما قامت الثورة، وتم استبدال الجمهورية بالملكية ظن الكثير من العلويين حتى الذين لا علاقة لهم بآل حميد الدين ممن لا ناقة لهم ولا جمل في الحكم، ولا هم في العير ولا في النفير أن الثورة لم تقم إلا للانتقام منهم، كما أفصح عن ذلك العلامة مجد الدين المؤيدي في مؤتمر حرض لأن كل واحد منهم ظن أنه مستهدف للاعتقال ففر من فر منهم، واختفى من اختفى.

ولو كان هؤلاء مواطنين مثل بقية الشعب لما حسبوا لهذا الأمر حسابه، فما كان من القاضي عبدالرحمن الإرياني إلاّ أن أجاب عليه بقوله: «إنما قامت الثورة للقضاء على الظلم، وليست ضدكم فأنتم مواطنون، ولكن إصراركم على الاستمرار في تعاليكم على سائر الناس جعلكم كالإناء المملوء ماء ودهناً، فأنتم كالدهن لا يقبل بطبيعته الامتزاج مع الماء بل يظل طافياً فوق الماء، فإذا ما حدث للإناء اهتزاز كان الدهن أول ما يندفع من الإناء»، ثم حول الحاضرون مجرى الحديث.

فمن هو الذي – يا ترى – نفى عنكم حق المواطنة؟ إنكم تعلمون علم اليقين، ولو في قرارة أنفسكم على الأقل أن مسلككم هذا منافٍ للحق، ومناف للعدل، ولكن إلفكم لهذا المسلك الشاذ حببه إليكم، وجعل من الصعب عليكم التخلص منه، واحتمال سماع كلمة الحق فيه، بل وتغضبون لمن ينكر عليكم هذا الأمر وتحقدون عليه، ويذكرنا هذا بما قاله شيخ الإسلام الشوكاني، للعلامة صديق بن علي المزجاجي الزبيدي الحنفي في ترجمته[53] له حيث قال: «وفي بعض

(53) البدر الطالع 292/1.

المواقف بمحضر جماعة وقعت بيني وبينه مراجعة في مسائل، وأكثرت الاعتراض على مسائل الحنفية، وأوردت الدليل وما زال يتطلب المحاملِ لما تقوله الحنفية، فلما خلوت به قلت له: أصدقني، هل ما تبديه تعتقده اعتقاداً جازماً؟ فإن مثلك في علمك بالسنة لا يظن به أن يؤثِر مذهبه الذي هو محض الرأي في بعض المسائل على ما يعلمه صحيحاً ثابتاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: لا أعتقد صحة ما يخالف الدليل، وإن قال به من قال، ولا أدين الله بما يقوله أبو حنيفة وأصحابه إذا خالف الحديث الصحيح، ولكن المرء يدافع عن مذهبه في الظاهر».(تأمل).

فالمسألة إذاً تعصب للمذهب، ولو كان خطأ، لا حول ولا قوة إلاّ بالله، وليت العلويين عملوا بنصيحة الشهيد الزبيري التي يقول فيها: «على أنهم كانوا يستطيعون أن يحسنوا إلى أنفسهم أكثر من ذلك لو أنهم سبقوا الثورة وحطموا بأيديهم تلك الفوارق التي كانت تفصل بينهم وبين الشعب»[54].

أكثر الشامي من نسبة (غاية الأماني) إلى العلامة المؤرخ الكبير يحيى بن الحسين بن الإمام القاسم بن محمد صاحب (أنباء الزمن) و(طبقات الزيدية) وغيرهما، والصحيح أنها لابن حفيد الإمام القاسم يحيى بن الحسين ابن المؤيد محمد ابن الإمام القاسم بن محمد، ولها اسمٌ آخر وهو (عقيلة الدمن المختصر من أنباء الزمن في أخبار اليمن) كما هو مذكور في الصفحة المقابلة لصفحة العنوان، ولكن المحقق نسبها خطأً أو جهلاً إلى يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد.

أما من هو يحيى بن الحسين ابن المؤيد؟ فقد كتب العلامة محمد بن إسماعيل الأمير عنه في تعليقه على (الأبحاث المسددة) للمقبلي عند قوله: «وحين أراد والي صنعاء يحيى بن حسين من بيت الإمام القاسم تشييد الرفض، وبالغت مع عمه المتوكل في النصح فعزله»، فقال الأمير معلقاً: «هو ابن حسين ابن المؤيد ولاه عم أبيه المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم – رحمهم الله – صنعاء وكان يحيى ذكياً حافظاً عالماً، لكن غلب عليه بُغض السلف الصالح وشابه الرافضة في ذلك».

«وأراد لما ولي صنعاء أن يزيد في آخر الآذان، وعلى المنابر ما تزيده الرافضة من قولهم: (وأشهد أن علياً ولي الله) سمعنا هذا عن كثير من علماء صنعاء. وكان يحيى بن الحسين متبوعاً وغرس شجرة الرفض في قلوب جماعة من

---

(54) الإمامة وخطرها على وحدة اليمن.

الصالحين ممن أدركناهم»[55]. وترجم له الشوكاني في البدر الطالع 329/2 قائلاً: «وكان متظهراً بالرفض وثَلب الأعراض المصونة من أكابر الصحابة»، ومشى على طريقته تلامذتُه: أحمد بن ناصر بن عبدالحق المخلافي، وأحمد بن محمد الآنسي (الزنمة)، والحسن بن علي بن جابر الهبل.

وقال الشوكاني: (ورأيت بخط السيد يحيى[56] بن الحسين بن القاسم أن صاحب الترجمة تواطأ هو وتلامذته على حذف أبواب من مجموع زيد بن علي وهي ما فيه ذكر الرفع والضم والتأمين ونحو ذلك، ثم جعلوا نسخاً منها وبثوها في الناس، وهذا أمر عظيم وجناية كبيرة، وفي ذلك دلالة على مزيد الجهل وفرط التعصب، وهذه النسخ التي بثوها في الناس موجودة الآن فلا حول ولا قوة إلاّ بالله.

وأما من هو أحمد بن محمد الآنسي؟ فإن العلامة يحيى بن الحسين ابن الإمام القاسم بن محمد وصفه في (بهجة الزمن) ذيل أنباء الزمن في حوادث سنة1079 بقوله: وكان خبيث العقيدة رافضي، فقال:

إذا غضبت أُمُّنا فاطمة　　وماتت بغُصَّتها الدائمة
فكيف ترضى عن المُغْضِبين　　لها كالإبل السائمة؟
وفيم التحرجُ من لعن من　　على لعنه حجةٌ قائمه؟
ومن كان خصماً لبيت الرسول　　فهي له في غدٍ خاصمه

ثم قال يحيى بن الحسين: «وزاد على السيد أحمد الآنسي حسن بن علي بن جابر الهبل بما هو أعظم وأكثر من قوله أخزاه الله، وعاد لعنه عليه فيما لعنه:

العن أبا بكرٍ الطاغي وثانيه　　والثالث الرجس عثمان بن عفانا
ثلاثةٌ لهم في النار منزلةٌ　　من تحت منزل فرعونَ وهامانا
يا رب فالعنهم والعن محبَّهم　　ولا تُقم لهم في الخيْر ميزانا
تقدموا صُنو خير الرسل واغتصبوا　　ما أحل ابنته ظلماً وعدوانا

وقال: «وقد انزحف عليه البيت الآخر»، ثم قال: «وقد أجاب عليه السيد لطف الله بن علي بن لطف الله بن مطهر بن شرف الدين، والفقيه حسن الفضلي الآنسي» فمن جواب لطف الله قوله:

(55) الأبحاث المسددة، ص31.
(56) في كتابه بهجة الزمن كما سيأتي بيان ذلك قريباً.

تبـت يـدا حـسنٍ ثـاني أبـي لهـب قـد أصـليا لهبـاً مُحمـاً ونيْرانـا
أضحى مع الكافرين الطغم في سقرٍ مـأواه مـن تحـت فرعـونَ وهامانـا
يا ميتةَ السوء مات الرجسُ فاضحة ولّـى مـصراً علـى العـصيان خوانـا
قد خـالف اللهَ ثـم المصطفى سـفها والمـؤمنين معـاً ظلمـاً وطُغيانـا

إلى آخر القصيدة.

ثم قال يحيى بن الحسين: ولهذا الرافضي ديوان يتضمن الشتم للصحابة عليهم الرضوان قد أضل به كثيراً من إخوانه الرافضة والطغيان والجهال الذين قد ثبت أن أجهل الناس من سب الصحابة، وزاد هذا الرافضي بما لم يتفوه به رافضي قبله في قوله: والعن محبهم لأن الله تعالى يقول: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ وبالإجماع من المفسرين أنها نزلت في أبي بكر لما قاتل أهلَ الردة من بني حنيفة وغيرهم لأن الآية في المائدة في سياق قوله تعالى: ﴿مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾[57] وهو خطاب للمؤمنين وحصلت الردة بعد موته صلى الله عليه وآله وسلم، وممن كان أسلم في حياته، وهم مثل بني حنيفة وجماعة باليمن وعُمان ارتدوا فقاتلهم أبو بكر بسبب ذلك لم يقاتلهم غيره رضي الله عنه.

فالله تعالى حكم بأنه يحبهم أعني الذين قاتلوا أهلَ الردة الذين منهم أبو بكر، وقوم كأبي موسى الأشعري وأصحابه وغيرهم، فقد أتى هذا الرافضي شططاً عظيماً وقولاً جسيماً ما قد قال به أحدٌ من الرافضة قبله، ولكن ما عُصي الله بشيء أشد من الجهل فإن الرجل كان شاباً، ورأى بعض المتشابهات من أقوال الرافضة، فقال من حيث لا يدري بالمقيدات وبالروايات الصحيحات، ولم يخالط العلماء، ويسأل ويأخذ الحقيقة ويستكشف المشكل بل وقع فيما وقع فيه فلا قوة إلاّ بالله نعوذ بالله من الجهل ونسأله الثبات الذي وعد به تعالى بقوله: ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾[58]. ونعوذ بالله من الضلال. ومما بلغ بهذا الرافضي من...[59] ونستغفر الله تعالى من حكاية لفظه وكتبه.

ولكن ذلك كله لأجل لا يغتر به من يغتر من الجهال لأن ديوانه وأقواله منقولة مع الجهال من إخوانه الرافضة، والله أعلم. والرافضة هذا الزمان الذين من الزيدية كثير إلاّ أن منهم من يتستر بمذهبه، ولا يظهر عند سائر الزيدية

(57) المائدة من آية 54.
(58) سورة إبراهيم 27.
(59) لم تكن الكلمة واضحة فتركت مكانها فارغاً.

غير الرافضة، ولم يُظهر الرفض إلاّ هذا حسن بن علي الهَبَل، والسيد أحمد الآنسي، والسيد صلاح بن محمد العياني، والفقيه أحمد بن عبدالحق الحيمي ويحيى بن المؤيد فهؤلاء الذين أظهروا الرفض والشتم للصحابة رضي الله عنهم وباؤوا بآثامهم. وكبيرهم الذي أفظع حسن بن علي بن جابر الهبل – لا رحمه الله – وعندما جرى هذا ترجح للفقيه صالح المقبلي الثلايي اليمني أن باع أملاكه ورحل بأولاده إلى مكة واستقر بها».

وللفقيه الفاضل حسن بن علي الفضلي في الرد على حسن بن علي بن جابر قوله:

أمدح أبا بكرٍ السامي وثانيه	والثالث الحَبْر عثمان بن عفانا
ثلاثةٌ لهم في الخلدِ منْزلةً	حُفَّت بمنْزل موسى بن عِمرانا
يا رب فلتجزهم ولتجز مادحَهم	يومَ القيامة فوقَ الناس بُنيانا
قد آثروا صنو خيْر الرسل واعترفوا	بكل حقٍ له سراً وإعلانا

وقد جرى مع كثير ممن ولع بسب الصحابة رضي الله عنهم سوء الخاتمة نعوذ بالله من سوء الخاتمة، ونسأله أن يرحمنا بصلاح الخاتمة والرضا والتوفيق.

ثم يقول أي يحيى بن الحسين: «أخبرني الثقة أن هذا حسن بن علي بن جابر لما ذكر له في مرض موته التوبة فقال: ذاك هو الذي يلقى الله به، وأن سببه هو علي بن أبي طالب هو الذي ترك حقه، وأنه قد عصى بترك حقه ورعاً، وسبَّه! فاعجب، وانظر كيف ختم له بسب الصحابة من أجل علي، ثم طغى إلى سب علي رضي الله عنه!».

ثم قال يحيى بن الحسين: وكان رجلاً يقال له الفقيه صلاح القاعي من رافضة الهادوية لما حضرته الوفاة، قال لزوجته أن تنادي أن الفقيه صلاح القاعي مات كافراً. هكذا روى لي السيد لطف الله بن علي، وروى هذه الرواية عن صهره محمد بن حسن الحيمي وهو ممن حضر موت خاله صلاح القاعي المذكور.

ولما مات صالح العجمي الرافضي الإثنى عشري قال الراوي: إنه ظهر في لسانه سوادٌ عظيم. قال الراوي: وكثير من الرافضة، وغالبهم أو جميعهم تكون خواتمهم خواتم سوء فنسأل الله تعالى السلامة والأمان من العذاب وصلى الله وسلم على محمد وآله.

وكان منهم السيد صلاح بن محمد العِياني فأمر محمد بن المتوكل بحبسه لأجل تعصبه وامتناعه عن ترك ذلك وأمر بإخراجه من القصر إلى حصن ثُلا فاجتمع كثيرٌ من عامة صنعاء وصبيانهم يقولون عند خروجه: هذا جزاءُ من سَبَّ صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، مع أن زيد بن علي رضي الله عنه ممن حرّم سَبَّ الصحابة وغلظ في النهي عنه، كما عُلِم عنه بالتواتر ضرورة، حتى إن بعض جهلتهم قال لبعض من راجعه فيهم، واحتج عليه بأنه تحت القدوة بالإمام علي فإنه قعد وشكر وحضر جماعاتهم وجُمَعَهم، ولم ينكر أحوالهم، فقال عند ذلك: تَركُ عليٍ خطأٌ وغلط، وإلاّ فكان عليه القيام عليهم.

وهؤلاء الذين أخذوا في جانب الصحابة رضي الله عنهم كلهم أحداثٌ صبيان ما قد عرفوا العلم بالحقيقة، ولا أخذوه بالطريقة فيعملون بالظواهر والإطلاقات، ولا يضمون الكلام بعضه إلى بعض، ويجمعون بينها، ويوافقونها فبسببه حصل هذا الأمرُ العظيم نسأل الله التوفيق، ثم أنجر ذلك إلى كتابة اللّعن في كلّ ما وقفوا عليه من الكتب في ذكر أحد من الصحابة يقولون باللعن، ويخالفون مقصد المصنفين، والمؤمن ليس بلعانٍ، وزادوا ونقّصوا فلا حول ولا قوة إلاّ بالله، ثم أنجر هذا إلى طمس بعض شيء من نصوص زيد بن علي رضي الله عنه في مجموعه مما ظاهره موافقة أهل السنة وقص ورقه بالمقاريض فلا قوة إلاّ بالله العلي العظيم، ثم نقلوا على هذه النسخة المغيرة المنقصة المحرفة نسخاً فيتوهم المتوهم ممن رأى اختلاف النسخ والعياذ بالله الدس بالزيادة، وليس كذلك فإن التحريف حصل بالنقص كما هو في النسخ القديمة ثابت، والنقص باطلٌ، فليعلم ذلك إن شاء الله.

وقد أحسن من قال في هذا الوقت والفعال، وهو السيد إسماعيل بن محمد بن صلاح جحاف الحبوري:

رأيٌ طرأ عن سبيل الحق معدولُ	ومذهبٌ حادثٌ لا شك مجهول
من خالف الناس يوماً في مذاهبهم	فإنه بسيوف العدل مخذول
والنهج أبلجُ معروفٌ طرائقه	فمن تعاماه حادته الأباطيل
أفرطتم في سباب الصَّحب هل لكم	في ذا دليلٌ على ما قيل معقول
جُرتُم ومِلتم عن الحق القويم وعن	نهج السبيل فذا لا شك تعليل
الله أثنى عليهم في مُنَزَّله	وحَبلنا بكتاب الله موصول
ما قاله الله من قولٍ ونزَله	فإنه عندنا بالرحب مقبول
وقد أتى عن رسول الله فضلهم	نصٌ كثيرٌ عن الأحبار منقول

فطمس ذلك لا يُسطاع من رجلٍ　　هل يستطاع لبحر الماء تقليل
ذادوا عن الحق وابتاعوا بأنفسهم　　جنات خلدٍ جزاءُ منه مبذول
لما استبانت وجوه الرأي وانكشفت　　حُجب الظلام وشخص الحق مهزول
لولا مصابيح نورٍ منهم غلبت　　على الظلام وجنح الليل مسبول
قاموا بأمر رسول الله واجتهدوا　　وليس منهم لأمر الله تحويل
قَفوا الطريق التي قد سنّها لهم　　نبيهم ما جرى حيف ولا ميل
ولاؤهم للنبي حقّ وملتزم　　وكلما قدر الرحمن معقول

انتهت القصيدة الفريدة العظيمة لأهل البصيرة.

وكان انبعاث هؤلاء الرافضة الذين أشرُّهم وأجهلهم حسن بن علي بن جابر الهبَل لما رأوا يحيى بن حسين ابن المؤيد بالله القابلية لما وضعوه وكذبوه فجزاهم على ما صنعوه وابتدعوه[60].

وبعد فهذا هو الهبل الشاعر الرافضي الذي دعا أحمد بن محمد الشامي في كتابه (جناية الأكوع على ذخائر الهمداني) شعراء اليمن إلى الاهتمام به، فقال في ص 74: «متى متى يهتم شعراء اليمن بأمير شعرائهم الحسن بن علي بن جابر الهبل (رحمه الله)! بعد أن وصفه بقوله: هذا الشاعر العظيم المولود بصنعاء سنة 1048هـ (1639م) المتوفى عام 1079هـ (1669م) وهو في الثلاثين قد أهمله مؤرخو الأدب، وتصرف المغرضون في ديوانه المخطوط[61] لنوازع طائفية وعنصرية».

وليته كشف عن أسماء هؤلاء المغرضين وما هو نوع التصرف؟ هل ألحقوا بشعره ما لم يقله؟ ولماذا اختاروا الهبَل بالذات من بين مئات الشعراء مع أن شعره معروف ومتميز، ولماذا لم يظهر هذا الإدعاء في عهد الإمام يحيى أو الإمام أحمد ومن قبلهما من الأئمة؟ ولكنهم لما عرفوا أن هذا اللون من التشيع غير مقبول ولا مستساغ بعد قيام النظام الجمهوري سنة 1382 (1962م) واتصال اليمن بالعالم بعد العزلة الطويلة جاؤوا بهذا المسوغ، ويا حبذا لو ميّز الشامي بين ما يعتقد أنه من شعره وبين ما هو منسوب إليه، ولكن إذا أراد أن ينفي عنه الشعر الذي تعرض فيه لسب صحابة رسول الله وخلفائه الراشدين فماذا سيبقى من شعره؟ وماذا سيعمل بنسخ ديوانه المنتشرة في خزائن الشيعة؟ إذ ما من بيت من بيوت هؤلاء إلاّ

(60) بهجة الزمن.

(61) قد نشره الشامي بآخرة سنة 1404هـ - 1983م بتحقيقه وتعليقه، وقامت الدار اليمنية للنشر والتوزيع بطبعه، وقد حذف الشامي منه الأبيات التي طعن فيها على الصحابة، وكتبها في ملحق منفصل كان يرسله إلى من هو على شاكلته.

وفيه ديوانه أو بعضه وكلها منقولة عن الأصل الذي كتبه جامع ديوانه أحمد بن ناصر بن عبدالحق المخلافي، وهو معاصر، وزميل له، ورافضي مثله.

وتوجد نسخة قديمة بخط أحد زملائه ومن أضرابه وعلى مذهبه وشاكلته صلاح بن محمد بن علي العُبالي، وتاريخ نسخها كما جاء بيان ذلك في قوله: «انتهى رقم الديوان المبارك وقت العشاء الأخيرة المسفرة عن يوم الثلاثاء خامس عشر رمضان الكريم عام إحدى وتسعين وألف سنة من الهجرة النبوية بالتاريخ العلوي!! (هكذا) على صاحبهما وآلهما صلوات الله وسلامه، بقلم الفقير إلى الله صلاح بن محمد بن علي العبالي وفقه الله».

فهل المخلافي والعُبالي من المغرضين الذين تصرفوا في ديوانه المخطوط لنوازع طائفية وعنصرية وهما من زمرته؟ ثم إن كثيراً من شعر الهبل، وهو ما فيه سب الصحابة رضي الله عنهم محفوظ عن ظهر قلب عند محبيه ومحبي مذهبه حتى اليوم يترنمون به في مجالسهم، وينشد به بعضهم في محافلهم عند المناسبات المختلفة، وهذا الشعر متواتر عندهم أنه للهبل جيلاً بعد جيل.

وقد سبق ذكر ما كتبه العلامة المؤرخ السيد يحيى بن الحسين ابن الإمام القاسم بن محمد عن الهَبَل وهو معاصرٌ له، وليس بينه وبينه إلاّ ما يحصل بين رجلين: رجلٌ يحب صحابة رسول الله، ورجل يكرههم ويلعنهم لا لسبب، وإنما لأن المسلمين اختاروهم لتولي الخلافة قبل علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعنهم.

وقد نقل لنا يحيى بن الحسين ردود العلماء والشعراء على الهَبل في عصره، وفي حياته، وعلى الشاعر أحمد بن محمد الآنسي، وصلاح العُبالي، والقاعي، ويحيى بن الحسين بن المؤيد ابن الإمام القاسم شيخ هؤلاء الزمرة.

وهذا شيخ الإسلام الشوكاني يقول في ترجمته للهبل في كتابه البدر الطالع 99/1 ما لفظه: وله القصيدة الطنانة التي مطلعها:

لـو كــان يعلــم أنهــا الأحــداق	يـوم النقــا مــا خــاطر المـشتاقُ
جهــل الهــوى حتــى غــدا في أســره	والحـــب مـــا لأســـيره إطـــلاق

وكلها غُرَرٌ لولا ما كدرها من ثَلبِ الأعراض المصونة أعراض خير القرون، ولَمَا ارتفعت درجته عند الإمام المهدي أحمد بن الحسن، وكان كالوزير له «أي بسبب ما تحتويه هذه القصيدة من ثلب الأعراض المصونة».

ولا ندري ما هو هدف أحمد الشامي من الثناء على الهَبَل والترحم عليه ودعوته للشعراء للاهتمام بشعره؟ فهل يريد إحياء مذهب هذا الشاعر الذي كاد يتلاشى؟ بعد أن مال كثير من الشيعة في اليمن عن عقيدة هذا الرجل إلى كتب السنة النبوية، وإلاّ فما سر عظمة هذا الشاعر عند الشامي؟ ألجودة شعره السبّاب الطعّان؟ أم لماذا؟.

هذا وقد ظهرت دعوةٌ مماثلةٌ لدعوة الأخ الشامي يقوم بها نفر هنا في اليمن هدفهم هدف الشامي، فإني أعرف رجالاً كانوا مشهورين بميلهم إلى كتب السنة، وكانوا يسلكون مسلك أهلها في أداء الصلاة لوقتها وفي رفع اليدين وضمهما عند الصلاة، ثم تركوا ذلك تقرباً للعامة الذين يتصلون بهم حتى لا يختلف سلوكهم مع ما يدعون إليه من التشيع، وبلغ بهؤلاء العلماء أنهم يوزعون كتب الإمامية الاثنا عشرية التي ترد إليهم من شيعة إيران والكويت والبحرين ولبنان على الطبقة الوسطى التي وصفها العلامة علي بن قاسم حَنَش بقوله: «هي منشأ الشر وأصل الفتن الناشئة في الدين، وهم الذين لم يمعنوا في العلم حتى يرتقوا إلى طبقة العلماء الذين يميزون بين الحق والباطل ولا تركوه –أي العلم– حتى يكونوا من العامة الذين لا ينفرون عن الحق وهم أتباع من يقتدون به إن كان محقاً كانوا مثله، وإن كان مبطلاً كانوا كذلك»[62]، بل إن بعض مؤسسات الشيعة الثقافية في خارج اليمن ترسل منشوراتها بانتظام بأسماء أشخاص أرسلت أسماؤهم إليها عن غير رضا منهم ولا معرفة لهم، بهدف تحويلهم إلى عقائدهم، وصرفهم عن منهج كتاب الله وسنة رسوله.

ولو أن هؤلاء العلماء الذين لا هَمَّ لهم إلاّ الترويج للتشيع القائم على الغلو المفرط لآل البيت – وهم أبعد الناس عنهم عملاً وسلوكاً واقتداءً – والكره لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإعادة الناس إلى حظيرته بذلوا هذه الجهود المتواصلة أو عشر معشارها لمحاربة الإلحاد والمذاهب الهدامة التي هي الخطر الداهم على الإسلام والمسلمين لكان أجدى وأنفع، ولكنهم لم يفعلوا ولن يفعلوا فلا حول ولا قوة إلاّ بالله، فقد انحصر اهتمامهم على التشيع وحده، وكأنه الدين كله وما عداه فهو من نافلة القول.

ولقد بلغ الحال بأحد علماء[63] بلاد صعدة أن قال في مجلس رئيس الجمهورية في أول ليلة من رمضان سنة 1402هـ أمام جموع العلماء إن الواجب

---

(62) البدر الطالع 472/1.

(63) هو صلاح فليته.

على الدولة أن تحارب أهل السنة قبل محاربة الشيوعيين والملحدين، وقد انبرى له نفرٌ من العلماء الحاضرين فسفهوا رأيه ولاموه على مقولته. نعوذ بالله من الضلال.

ولولا أنه كان في محفلٍ عام لما تردد في أن يقول: إن الخطر الداهم يكمن في ميل الناس إلى العمل بكتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾[64].

هذا ما أردت أن أنبه الأخ أحمد بن محمد الشامي إليه وإلاّ ففي كتابه (جناية الأكوع على ذخائر الهمداني) كثيرٌ من الأمور التي تحتاج إلى تعقيب لأنه تعرض لأمور لا علاقة لها بموضوع الهمداني ودامغته لا من قريب ولا من بعيد، ولو اقتصر على كشف الأخطاء فيما حققه القاضي محمد بن علي الأكوع من كتب الهمداني وتصحيحها لكان أقرب إلى الحق ولوجد سعة في مجال القول فينتفع به الناس بعد أن يتلقوه بالقبول.

وبعد.. فإني أرجو أنني قد توفقت فيما هدفت إليه من عرض الحقائق مجردة من الإثارة والانفعال، وبعيدة عن التعصب والانجراف وراء الأهواء والأغراض، وأنا على يقين أن الأخ العلامة الشامي يعرف[65] أكثر بكثير مما تعرضت له، ولكن المحنة والبلية أن «أغلبية مؤرخينا قدامى ومحدثين – كما يقول – هم من المتعصبين والمتحيزين، ومعظمهم تأثروا بما يحيط بهم ويضج به مجتمعاتهم من تعصبات مذهبية أو دعوات سلالية، وقل أن تجد من يستطيع أن يتحرر من قيود بيئته أو ينصف غير أبناء طائفته أو جنسه». والأنكى من هذا أن كثيراً ممن يصدق عليهم هذا القول: «يعرفون الحق ولكن لا يتبعونه» تعصباً لما ألفوه ونشأوا عليه فلا حول ولا قوة إلاّ بالله، وما توفيقي إلاّ بالله.

إسماعيل بن علي الأكوع

---

(64) سورة آل عمران 8.

(65) ذكر المستشرق البريطاني هنري كي (H.C.Kay) في مقدمة تحقيقه لتاريخ اليمن لعمارة اليمني أنه تبين في الكُتَّاب الزيديين قصوراً كبيراً في المادة التاريخية.

وذكر محمد بن علي بن يونس المعروف بالزُحَيْف في مقدمة كتابه (مآثر الأبرار في شرح تفصيلات مجملات الأخبار) ما لفظه: ((التزمت أيضاً أن لا أذكر شيئاً من النقائض التي تصدر في بعض الأحيان من بعض العترة إلى بعض لأني إن فعلت ذلك عاد على نشري لمحاسنهم بالنقض)) ومعنى هذا أنه أغفل ذكر حقائق رهيبة مخافة أن ينتهك الستر فتظهر العيوب فتهتز القداسة وتزول من نفوس الناس محبتهم.